فى
رياض القرآن الكريم

إعداد
الدكتورة / عفاف على النجار
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة

الجزء الأول

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الإهداء

إلى تلك الروح الطاهرة مصدر حياتى ووجودى ومبعث أملى ورجائى .

إلى روح والدى الكريم ، طيب الله ثراه ، وجعل مع المقربين مقيله ،وسكناه وجزاه عنى أحسن الجزاء .

وإلى تلك البارة التقية الصفية النقية ، والدتى الرؤوم الحنون التى هى قرة عينى ، وبهجة نفسى ، وملاذى وأنسى جزاها الله عنى خير ما جازى به والد عن ولده .

أهديهما كتابى هذا " فى رياض القرآن الكريم"

عفاف على النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ومن اهتدى بهديه وعمل بشريعته إلى يوم الدين .

أما بعد - فهذه قطرة من بحر علوم القرآن ومعارفه وأسراره أقدمها فى عبارات مبسطة مركزة بعيدة عن الحشو والتطويل لطلبة العلموخدمة لكتاب الله تعالى .

راجية من الله تعالى المثوبة والتوفيق

"رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ، وأحلل عـقدة من لسانى يفقهوا قولى "

"رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً " .

"صدق الله العظيم "

تمهيد

معنى علوم القرآن ، وموضوعه ، وفوائده
وأهم المؤلفات فيه

معنى علوم القرآن :

هذا مركب إضافى لا يتضح معناه إلا بشرح أجزاءه : علوم ، القرآن .

١- العلوم :

جمع علم ، والعلم فى اللغة مصدر مرادف للفهم والمعرفة فهو نقيض الجهل .

ويطلق العلم فى لسان الشرع العام : على معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله فى عباده وخلقه .

٢- أما لفظ القرآن :

فهو فى اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)[١] أى قراءته ثم نقل من هذا المعنى وجعل علماً على الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة القيامة الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

ويطلق بالاشتراك اللفظى على مجموع القرآن ، وعلى كل آية من آياته فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)(١).

قال أبو إسحق النحوى : يسمى كلام الله تعالى الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، كتاباً وقرآناً وفرقاناً ، ومعنى القرآن معنى الجمع وسمى قرآناً لأنه يجمع السور ، فيضمها(٢) .

وقال ابن الأثير(٣) :" تكرر فى الحديث ذكر القراءة والأقتراء والقارىء والقرآن ، والأصل فى هذه اللفظة الجمع ، وكل شىء جمعته فقد قرأته . وسمى القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض ، وهو مصدر كالغفران والكفران " .

وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل فى الإشتقاق فقد روى عن الشافعى رضى الله عنه ": أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين ، وكان يقول : القرآن إسم ، وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ولكنه إسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل ، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن ، كما تقول : إذا قرأت القرآن ."(٤)

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢٨/١ .

(٣) فى النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٠.

(٤) أنظر لسان العرب ١٢٨/١، ١٢٩ .

لكن الرأى المختار أن لفظ القرآن مهموز ، وإذا حذفت همزته فللتخفيف .. وقد اتفق القراء على إثبات الهمزة ، ولم يحذفها إلا ابن كثير وهى من باب التخفيف .

والقرآن فى الشرع : هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بسورة منه المتعبد بتلاوته المكتوب فى المصحف من أول سورة الفاتحة إلي آخر سورة الناس المنقول إلينا بالتواتر .

فالكلام : جنس فى التعريف ، يشمل كل كلام ، وإضافته الى "الله" يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة .

والمنزل : يخرج كلام الله الذى استأثر به سبحانه (قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً)[1](ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)[2].

وتقييد المنزل بكونه " على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم " يخرج ما أنزل على الانبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما .

وخرج "بالمعجز" الأحاديث القدسية على رأى من قال إن لفظها منزل من عند الله تعالى .

---

(١) سورة الكهف ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان : ٢٧ .

و" المتعبد بتلاوته" يخرج قراءات الآحاد والشاذة كما يخرج منسوخ التلاوة .

٣- معنى علوم القرآن بالمعنى الإضافي :

تبين لنا مما تقدم معنى كلمة (علوم) وكلمة (قرآن) . وإذا عرفنا المراد من كل منهما عرفنا بمقتضى الإضافة التى بينهما أن معنى علوم القرآن أنواع المعارف والعلوم المتصلة بكتاب الله المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم .

وإنما جمعت هذه العلوم ولم تفرد لأنه لم يقصد إلى علم واحد يتصل بالقرآن . إنما أريد شمول كل علم يخدم القرآن أو يستند إليه .

وبهذا يُمكننا أن نعرف هذا الفن بمعناه العلمى فنقول :

هو علم يتألف من مباحث متعلقة بالقرآن الكريم ، من حيث نزوله وتفسيره وجمعه وترتيبه وإعجازه وشرح غريبه وإعرابه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبهات عنه وغير ذلك من كل ما له اختصاص به .

٢- موضوعه :

القرآن الكريم من هذه النواحى وغيرها مما يتعلق بمباحثه . فموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم فعلم القراءات مثلاً موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وآدائه ، وعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه وبيان المراد منه

بقدر الطاقة البشرية .

٣- فوائده :

لهذا العلم فوائد كثيره نكتفى هنا بذكر بعض منها :

أ- معرفة الأحوال التى لابست القرآن منذ نزوله على النبى صلى الله عليه وسلم الى الوقت الحاضر . فمن هذا الفن يعرف كيف نزل عليه صلى الله عليه وسلم ، وكيف عنى به فى كل الأزمان ، ومدى الجهود التى بذلت لحفظه حتى روى على سبيل التواتر فى كل عصر ومصر ، وكيف عنيت الأمة بتفسيره واستخراج الأحكام منه - إلى غير ذلك .

(ب) الإستعانه بأبحاثه الكثيرة على فهم القرآن الكريم والوقوف على أسراره وأغراضه ، إذ كيف يتأتى لدارسى القرآن أن يتوصل إلى إصابة الهدف وهو لا يعلم كيف جمع ، وكيف رتب ، وأسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه ؟

(جـ) دارس القرآن يجب أن يتسلح بسلاح قوى ضد غارات أعدائه التى تشن من آن لآخر ، قصر النيل من الكتاب العزيز، ولا شك أن الدفاع عنه يستلزم دراسة ملابساته وفقهه ومعرفة وجوهه - وغير ذلك .

٤- تاريخ علوم القرآن وأشهر المؤلفات فيه :

نزل القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرأه أصحابه رضوان الله عليهم . وكانوا يعرفون من أسراره وعلومه

ما لا يعرفه أحد - ذلك أن هذه الأبحاث التى اصطلح على تسميتها بعلوم القرآن ترجع الى الوحى وإلى أمور وقعت بين أظهرهم وإلى لغتهم ، ولكنهم لم يدونوها لأنهم كانوا عرباً خلصاً يتمتعون بصفاء النفس وقوة الحافظة ، وكانوا قد نهوا عن كتابة شىء غير القرآن خوفاً من اختلاط غيره به - روى الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه"[١] ثم إن الأشياء التى كان يدون عليها فى ذلك الوقت كانت قطعاً من الأدم واللخاف والعظام وسعف النخيل ، ومعالجة الكتابة عليها لست من اليسر بحيث تشجع على كتابة كل شىء ، زيادة على هذا أنهم كانوا يعلمون أن القرآن الكريم سبب عزهم وسعادتهم فى الدنيا والأخرة فكانوا دائبين على دراسته وفقهه ونشره بين المسلمين - وظلت هذه الأبحاث على تلك الحال لا يخشى عليها الضياع أو النسيان ، تتناقلها الرواة طبقة عن طبقة ، دون أن تدون فى كتب خاصة بها إلى أن تطورت الحياة وجاء وقت نشطت فيه الحركة العلمية تأليفاً وتدويناً واتسع مجالها حتى شملت كل أنواع العلوم والمعارف ، فكان لهذه الأبحاث القرآنية حظها من عناية العلماء فاتجهت هممهم إلى وضع المؤلفات فيها - وكان ابتداء ذلك فى القرن الثانى الهجرى ، وبعده أخذت الأبحاث سبيلها إلى الوفرة والتنوع حتى يومنا هذا . وجدير

---

(١) أخرجة مسلم فى صحيحه . كتاب الزهد . باب التثبت فى الحديث وحكم كتابة العلم ١٨/١٢٩ شرح النووى .

بالذكر أن تدوين تفسير القرآن شمل هذه الأبحاث وغيرها مما يعين على فهم كتاب الله ، إلا أنها كانت متفرقة فى بطون الكتب تذكر فى الموضع المناسب ، كأن يتكلم مثلاً على الناسخ والمنسوخ عند الكلام على آية (ما ننسخ من آية أو ننسها) وعلى المحكم والمتشابه فى أول آل عمران وهكذا .

بعض المؤلفات فى هذا الفن :

إن أبحاث علوم القرآن لم تكن تجمع فى العهود الأولى فى مؤلف خاص . ونذكر طائفة من الكتب التى ألفت على هذا النحو :

١- ألف على بن المدينى شيخ البخارى (المتوفى سنة ٢٣٤هـ) كتاباً فى أسباب النزول كما كتب فى هذا الموضوع بعض العلماء المتأخرين عن عصر ابن المدينى .

٢- وألف أبو جعفر ابن الزبير الأندلسى (المتوفى سنة ٨٠٧ هـ) كتاباً في مناسبة الآيات سماه البرهان فى ترتيب سور القرآن .

٣- وألف فى غريب القرآن جماعة منهم أبو عبيد (المتوفى سنة ٢٢٤هـ) . ومحمد العزيزى السجستانى (المتوفى سنة ٣٣٠هـ) ومن أشهر المؤلفات فى ذلك مفردات الراغب الأصفهانى فى غريب القرآن (المتوفى سنة ٥٠٢هـ) .

٤- وألف فى الوقف والإبتداء جماعة منهم أبو عمر وعثمان الدانى (المتوفى سنة ٤٤٤ هـ) وأبو جعفر النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨هـ) كتاباً فى ذلك سماه القطع والإستئناف .

٥- وألف فى معرفة جدله نجم الدين الطوفى (المتوفى سنة ٨١٦هـ).

٦- وألف فى الناسخ والمنسوخ قتادة بن دعامة السدوسى (المتوفى سنة ١١٨هـ) روى أنه أول من ألف فى هذا العلم كما ألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢٠٩هـ) وألف أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤هـ) .

٧- كما ألف ابو عمر وعثمان الدانى السابق ذكره : كتاب التفسير فى القراءات السبع ونظمه الشاطبى (المتوفى سنة ٥٩٠هـ) .

٨- وألف الشهرزورى فى القراءات العشر كتاباً سماه المصباح الزاهر فى القراءات العشر الزواهر.

٩- وألف محمد بن المستنير النحوى المعروف بقطرب (المتوفى سنة ٢٠٦هـ) كتاباً سماه الرد على الملحدين فى تشابه القرآن .

جمع هذه الأبحاث فى مؤلفات :

نعلم أن هذه الأبحاث التى أفردت كل نوع من أنواع علوم القرآن قد كتبت على سبيل التطويل وقد لا يتيسر الإحاطة بها وهي علي هذه الصورة - لذا فقد رأى العلماء أن يختصروها ويجمعوها فى مجلد واحد يضم جميع الأنواع ، وسموها (علوم القرآن) .

ففى القرن السادس الهجرى ألف أبو الفرج بن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧هـ) كتابه (فنون الأفنان فى علوم القرآن) وكتابه (المجتبى فى علوم تتعلق بالقرآن).

وفى القرن السابع ألف علم الدين السخاوى (المتوفى سنة ٦٤١هـ) كتاب (جمال القراء) وألف أبو شامة (المتوفى سنة ٦٦٥هـ) كتاب (المرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز) . ثم أهل القرن الثامن فألف الإمام بدر الدين الزركشى (المتوفى سنة ٧٩٤ هـ) كتابه (البرهان فى علوم القرآن) - وهو متداول - وقد اعتمد عليه السيوطى فى تأليف كتابه الإتقان الآتى ذكره .

وفى القرن التاسع ألف جلال الدين البلقينى (المتوفى سنة ٨٢٤هـ) كتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم) رتبه على خمسين نوعاً .

وفى هذا القرن التاسع أيضاً ألف السيوطى كتاباً سماه (التحبير فى علوم التفسير) ثم وضع كتابه الثاني (الإتقان فى علوم القرآن) وهو عمدة الباحثين والكاتبين فى هذا الفن . ذكر فيه ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن على سبيل الإجمال والإدماج . وتوفى السيوطى رحمه الله سنة ٩١١ هـ فى مفتتح القرن العاشر .

وبعد ذلك نشطت حركة التأليف فى هذا العلم على يد جماعة من العلماء الأجلاء المتأخرين كالشيخ طاهر الجزائرى كتابه(التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طرق الاتقان) ، والشيخ مصطفى صادق الرافعى كتابه (اعجاز القرآن والبلاغة النبوية) ، والدكتور محمد عبد الله دراز كتابه (النبأ العظيم) والشيخ محمد على سلامه كتابه (منهج الفرقان فى علوم القرآن) ، والشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى كتابه(مناهل العرفان فى علوم القرآن) ، وألف الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية سابقاً كتابه (الكلمات الحسان فى

الحروف السبعة وجمع القرآن) إلى غير ذلك من المؤلفات الكثيرة والرسائل العديدة التى حفلت بها مكتبة علوم القرآن . وستظل هذه العناية بالقرآن الكريم دائمة بدوام الذكر الحكيم الذى وعد الله سبحانه بحفظه حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

المبحث الأول

نزول القرآن الكريم

معنى نزول القرآن :

جاء التعبير بمادة نزول القرآن وما تصرف منها في الكتاب والسنة ، ومن أمثلته قوله سبحانه : (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل)(١). وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف "(٢) .

لكن النزول فى اللغة يطلق ويراد به الحلول في مكان والأُوِىُّ به ، ومنه قولهم " نزل الأمير المدينة " والمتعدى منه وهو الإنزال يكون معناه إحلال الغير فى مكان وإيواءه به ، ومنه قوله جل ذكره (وقل رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين)(٣) .

ويطلق النزول إطلاقاً آخر فى اللغة على انحدار الشىء من علو إلى سفل نحو "نزل فلان من الجبل" والمتعدى منه يكون معناه تحريك الشىء من علو إلى سفل ومنه قوله سبحانه :(وأنزل من السماء ماء)(٤).

ولا ريب أن كلا هذين المعنيين لا يليق إرادته هنا فى إنزال الله للقرآن، ولا فى نزول القرآن من الله ، لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية . والقرآن ليس جسماً حتى يحل فى مكان أو ينحدر من علو إلى سفل ، سواء أردنا به الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات

---

(١)سورة الإسراء الآية ١٠٥ .

(٢) رواه الحافظ أبو يعلى فى مسنده الكبير – مناهل العرفان ١٣٢/١ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٩ .

(٤) سورة طه الآية ٥٣ .

الغيبية الأزلية ، أم أردنا به نفس تلك الكلمات ، أم أردنا به اللفظ المعجز ، لما علمت من تنزه الصفة القديمة ومتعلقها وهو الكلمات الغيبية عن الحوادث وأعراض الحوادث ، ولما تعرفه من أن الألفاظ أعراض سياله تنقضي بمجرد النطق بها ، كما يقولون .

إذن فنحن بحاجة إلى التجوز ، والمجاز بابه واسع وميدانه فسيح وليكن المعنى المجازى لإنزال القرآن هو الإعلام فى جميع إطلاقاته ، أما على أن المراد بالقرآن الصفة القديمة أو متعلقها فإنزاله الإعلام به بواسطة ما يدل عليه من النقوش بالنسبة لإنزاله فى اللوح المحفوظ وفى بيت العزة من السماء الدنيا ، وبواسطة ما يدل عليه من الألفاظ الحقيقية بالنسبة لإنزاله على قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، والعلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى هو اللزوم ، لأن إنزال شيء إلى شيء يستلزم إعلام من أنزل اليه ذلك الشيء به إن كان عاقلاً ، ويستلزم إعلام ممن يطلع عليه من الخلق به مطلقاً ، وإذن فالمجاز مرسل .

وأما على أن المراد بالقرآن اللفظ المعجز ، فمعنى إنزاله الإعلام به أيضاً ، ولكن بواسطة إثباته هو أو إثبات داله ، فإثباته هو بالنسبة لإنزاله على قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، وإثبات داله بالنسبة إلى اللوح المحفوظ وبيت العزة ، والعلاقة اللزوم كذلك ، والمجاز مرسل كسابقة .

ويمكن أن يكون هذا التجوز من قبيل الإستعارة التصريحية الأصلية، بأن يُشَبّه إعلام السيد لعبده بإنزال الشيء من علو الى سفل ، بجامع أن فى كل من طرفى التشبيه صدوراً من جانب أعلى إلى جانب أسفل ، وإن

كان العلو والسفل فى الشبه حسياً بالنسبة إلى المشبه به ، ومعنوياً بالنسبة إلى المشبه .

وكأن وجه اختيار التعبير بمادة الإنزال وما تصرف منها أو التقى معها ، وهو التنويه بشرف ذلك الكتاب ، نظراً إلى ما تشير إليه هذه المادة من علو صاحب هذا الكتاب المنزل علواً كبيراً ، كما قال تعالى فى فاتحة سورة الزخرف : (والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم)[1] .

ثم إن تأويل الإنزال بالإعلام هو الأقرب والأوفق بالمقام ، وذلك من وجوه ثلاثة :

أحدها : أن تعلق الكلام تعلق دلالتوإفهام ، ولا ريب أن القرآن كلام فتأويل إنزاله بالإعلام ، رجوع إلى ما هو معلومُ من تعلقه ، ومفهوم من تحققه .

ثانيها : أن المقصود من ثبوت القرآن في اللوح المحفوظ وفى السماء الدنيا وفى قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، هو إعلام الخلق فى العالمين العلوى والسفلى بما شاء الله دلالة البشر عليه من هذا الحق .

ثالثها : أن تفسير الإنزال بالإعلام ، ينسجم مع القرآن بأى إطلاق من إطلاقاته وعلي أى تنزل من تنزلاته [2] .

---

(١) سورة الزخرف الآية ٢ .

(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ١/٣٣-٣٥ .

تنزلات القرآن

ثبت أن للقرآن تنزلات ثلاثة :

الأول : إلى اللوح المحفوظ ، ودليله قوله تعالى : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ)[١] ، وحكمة هذا النزول ترجع إلى الحكمة من وجود اللوح نفسه فإنه السجل الجامع لما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ، وقد بين الله حكمة وجوده بقوله :(ما أصاب من مصيبةفى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)[٢]
قال الطبرى: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة فى الأرض بجدوبها وقحوطها وذهاب زرعها وفسادها ولا فى أنفسكم بالأوصاب والأوجاع والأسقام إلا فى كتاب يعنى أم الكتاب[٣]
وقال النيسابورى :[٤] أى هو مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ وللإيمان باللوح وبالكتابة فيه ، أثر صالح فى إستقامة المؤمن ، وتفانيه فى طاعة الله ، والرضي بكل ما قضى الله وقدر وما عليه إلا الصبر عند المصيبة والشكر عند النعمة .

---

(١)سورة البروج الآية : ٢١ .

(٢) سورة الحديد الآية : ٢٢ .

(٣) تفسير الطبرى : ١٣٤/٢٧ .

(٤) تفسير النيسابورى : ١٣٥/٢٧ على هامش تفسير الطبرى .

الثانى : النزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا ، ودليله قوله تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة القدر)[١] .(إنا أنزلناه فى ليلة مباركة)[٢]. (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن)[٣] ومن هذه الآيات الثلاث يتبين لنا أن القرآن الكريم أنزل فى ليلة القدر وهى ليلة مباركة وهى من ليالى شهر رمضان .

ولقد أضيف الإنزال فى هذه الآيات إلى القرآن كله دون بعض منه ومعلوم أن القرآن موزع نزوله علي مدة نبوته صلى الله عليه وسلم ، ولذا فقد قال جمهور العلماء : إن القرآن نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، ثم فرق على مدى تلك السنين ، ونزل على النبى صلي الله عليه وسلم على حسب ما تقتضيه الأحوال والحوادث .

أخرج الحاكم وابن أبى شيبة من طريق حسان بن حريث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : فصل القرآن من الذكر ، فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبى صلى الله عليه وسلم[٤].

وحكمة هذا التنزيل تفخيم شأن القرآن وشأن من أنزل عليه

---

(١)سورة القدر الآية : ١.

(٢) سورة الدخان الآية : ٣ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى: ١/١١٧.

القرآن ، فإن فى تعدد النزول وتعدد السجلات تأكيداً للثقة فيه ومبالغة فى نفى الشك عنه .

الثالث : نزوله منجماً على قلب النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام ودليله قوله تعالى :(نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)[١] .

والذى يجب الجزم به أن جبريل نزل بألفاظ القرآن المعجزة من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس ، وتلك الألفاظ هى كلام الله وحده لا دخل لجبريل ولا لمحمد فى إنشائها ولا فى ترتيبها ، فالألفاظ التى نقرؤها ونكتبها هى من عند الله وليس لجبريل عليه السلام فى هذا القرآن سوى حكايته للرسول صلى الله عليه وسلم وليس للرسول صلى الله عليه وسلم سوى وعيه وحفظه وتبليغه ، ثم بيانه وتفسيره ثم تطبيقه وتنفيذه .

أما القول بأن جبريل نزل بالمعانى وأن النبى صلى الله عليه وسلم علم تلك المعانى وعبر عنها بلغة العرب فهو قول بعيد عن الصواب .

كيفية أخذ جبريل للقرآن ، وعمن أخذ :

هذا من أنباء الغيب إلا أنه ورد فيه أقوال :

فقد قيل : إن جبريل كان يحفظه من اللوح وينزل به إلى الرسول صلى

---

(١)سورة الشعراء الآية : ١٩٣ .

الله عليه وسلم [(١)] وقيل : إن جبريل تلقى القرآن من الله سماعاً ونزل بما سمع يؤيد هذا حديث النواس بن سمعان عند ابن أبى حاتم " إذا تكلم الله بالوحى أخذت السموات منه رجفة شديدة من خوف الله ، فإذا سمع أهل السماء صعقوا وخروا سجداً ، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله بوحيه بما أراد ، فينتهى به الى الملائكة ، فكلما مر بسماء سأله أهلها : ماذا قال ربنا ؟ قال الحق فينتهى به حيث أمر "[(٢)] وروى عن مسروق عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل نُزِّعَ عن قلوبهم "قال" فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق ، الحق "[(٣)] .

وإلى هذا القول أميل ، فهذان الحديثان يدلان على كيفية أخذ جبريل للوحى : تكلم من الله وسماع من جبريل وهول شديد لأثره . ولا غرابة من كلام الله تعالى لجبريل فقد جاء فى القرآن الكريم ما ينص على كلام الله لملائكته :

(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ...)[(٤)] .

---

(١) ذكره الزركشى فى البرهان ١/٢٢٩ نقلاً عن السمرقندى .

(٢)ذكره ابن حجر في الفتح ١٧/٢٣٤ ، وأخرجه الطبرانى .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة . باب فى القرآن ٤/٢٣٥ .

(٤) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(إذ يوحى ربك إلي الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا)[١]فهذه النصوص متآذرة تدل على أن الله يكلم الملائكة دون واسطة بكلام يفهمونه .

كيفية أخذ النبى صلى الله عليه وسلم القرآن من جبريل:

وحى الله إلى انبيائه إما أن يكون بغير واسطة أو بواسطة فالأول : وهو الذى لا واسطة فيه :

أ- منه الرؤيا الصالحة فى المنام ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت "أول ما بدىء به صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" [٢] وكان ذلك تهيئة لرسول الله حتى ينزل عليه الوحى يقظة ، وليس فى القرآن شىء من هذا النوع لأنه نزل جميعه يقظة ، خلافاً لمن ادعى نزول سورة "الكوثر " مناماً للحديث الوارد فيها ، عن انس رضى الله عنه قال أغفى رسول الله صلي الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه مبتسماً فقالوا : يارسول الله لم ضحكت ؟ فقال " إنه أنزلت على آنفاً سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر) "[٣] فلعل الإغفاءة هذه هي الحالة التى كانت تعتريه عند الوحى .

---

(١) سورة الأنفال الآية ١٢ .

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الوحى ١/٢٥- ٣٠ من الفتح .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة . باب فى الحوض ٤/٢٣٧ .

ومما يدل على أن الرؤية الصالحة للأنبياء فى المنام وحى يجب إتباعه ما جاء فى قصة إبراهيم من رؤيا ذبحه لولده إسماعيل قال تعالى (فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدنى أن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين)[١] ولو لم تكن هذه الرؤيا وحيا يجب اتباعه لما أقدم إبراهيم عليه السلام علي ذبح ابنه .

والرؤيا الصالحة ليست خاصة بالرسل فهى باقية للمؤمنين وإن لم تكن وحياً،عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبى ، قال : فشق ذلك على الناس فقال : لكن المبشرات،قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة[٢] .

والرؤيا الصالحة في المنام للأنبياء هى القسم الأول من أقسام وحى الله لأنبيائه قال تعالى : (ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم)[٣]

---

(١) سورة الصافات الآيات : ١٠١ -١١٢ .

(٢) أخرجة الترمذى فى سننه كتاب الرؤيا . باب : ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ٥٣٣/٤ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٣) سورة الشوري الآية ٥١ .

ب- ومنه الكلام الإلهى من وراء حجاب بدون واسطة :

وهو ثابت لموسى عليه السلام قال تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك)[١] وقال : (وكلم الله موسى تكليماً)[٢] وهذا النوع هو القسم الثانى المذكور فى الآية (أو من وراء حجاب) وليس فى القرآن شىء منه كذلك .

الثانى : وهو أن يكون بواسطة ملك الوحى :

وهو الذى يعنينا فى هذا الموضوع لأن القرآن الكريم نزل به ولا تخلو كيفية وحى الملك الى الرسول من إحدى حالتين :-

الحالة الأولى : انسلاخ النبى صلى الله عليه وسلم من البشرية الجسمانية واتصاله بالملكية الروحية - وهى أشد الحالتين - فكان يأتيه الملك فى مثل صلصلة الجرس القوى فيغط النبى صلى الله عليه وسلم ويتغير لونه ويشتد عرقه فى اليوم الشديد البرد ، وقد يكون هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة المشار إليه فى الحديث :"إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان"[٣] .

والحالة الثانية : انتقال الملك من الروحانية المحضة إلى البشرية الجسمانية بأن يأتيه فى صورة الرجل فيكلمه فيعى ما يقول ، وهذه

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٣) أخرجة البخارى فى صحيحه . كتاب التوحيد ٢٣٥/١٧ من الفتح .

الحالة أخف من سابقتها ، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع .

وكلتا الحالتين مذكورتين فيما روى عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتينى مثل صلصة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقول " قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتصفد عرقاً "(١) . والحالتان هما القسم الثالث من أقسام التكليم الإلهى المشار إليه فى قوله تعالى : (... أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم)(٢) .

وابتدأ إنزال القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم بابتداء بعثته فى سن الأربعين على الأصح وانتهى بقرب انتهاء حياته ، فتكون المدة التى نزل فيها القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم نحو ثلاث وعشرين سنة ، ثلاث عشرة منها بمكة وعشر بالمدينة .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب بدء الوحى ٢١/١-٢٤ من الفتح والترمذى فى سننه . كتاب المناقب . باب كيف كان ينزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم ٥٩٧/٥ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الشورى الآية ٥١ .

تنجيم القرآن

نزل القرآن مفرقاً حسب الوقائع والحوادث ومقتضيات الأحوال ، ويسمى العلماء القطعة التى نزلت دفعة واحدة نجماً ، كأنهم ينزهون القرآن عن لفظ التقطيع والتفريق ، ويشبهون أجزاءه بالنجوم ، من حيث إن كل نجم له إستقلاله وإضاءته ، فى الوقت الذى هو فيه جزء من مجموعة الكواكب . ففى قوله تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم)[١] قال ابن منظور : يعنى نجوم القرآن لأن القرآن أنزل إلى سماء الدنيا جملة واحدة ، ثم أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم آية آية ، وكان بين أول ما نزل منه وآخره عشرون سنة .

قال السيوطى [٢] : الذى استقرىء من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشراً وأكثر وأقل ، وقد صح نزول العشر آيات فى قصة الإفك جملة ، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، وصح نزول : (غيرُ أولى الضرر)[٣] وحدها ، وهى بعض آية[٤] .

وروى عن عمر رضى الله عنه قال : تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ، فإن جبريل ، كان ينزل بالقرآن على النبى صلى الله عليه وسلم خمساً خمساً[٥] .

---

(١) سورة الواقعة الآية ٧٥ .

(٢) فى الإتقان : ١/١٢٤ .

(٣) سورة النساء الآية ٩٥ .

(٤) لسان العرب ١٢/٥٧٠ .

(٥) أخرجه البيهقى فى الشعب من طريق ابى خَلْده - الإتقان : ١/١٢٥ .

مقارنة بين نزول القرآن منجما

ونزول الكتب السماوية السابقة

ذكر السيوطى أن المشهور على ألسنة العلماء - حتى كاد يكون إجماعاً أن الكتب السماوية السابقة كانت تنزل جملة - وذكر أيضاً أن بعض معاصريه أنكر ذلك وقال إن الصواب أنها نزلت مفرقة ، ثم ذكر أن الأول هو الصواب(١) . ودلل عليه بما يأتى :

١- أخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قالت اليهود : يا أبا القاسم ، لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى ؟ فنزلت الآية (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً)(٢) وقد عدل تعالى عن الجواب عليهم إلى بيان حكمة التنجيم ، ولو كانت الكتب السماوية السابقة نزلت مفرقة لكان يكفى فى الرد عليهم أن يقول : إن ذلك سنة الله فى الكتب التى أنزلها على الرسل السابقة .

٢- ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالي فى انزاله التوراة على موسى يوم الصعقة (فخذ ما آتينك وكن من الشاكرين . وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء فخذها

---

(١) الإتقان ١/١٢٢- ١٢٣ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٢ .

بقوة)[١] (وألقى الألواح)[٢] ، (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة)[٣] ، (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة)[٤] فهذه الآيات دالة على إتيانه التوراة جملة .

٣- وأخرج النسائى وغيره عن ابن عباس ، فى حديث الفتون ، قال أخذ موسى الألواح بعد ما سكت عنه الغضب ، فأمرهم بالذى أمر الله أن يبلغهم من الوظائف ، فثقلت عليهم ، وأبوا أن يُقروا بها حتى نتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأقروا بها .

٤- وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ثابت بن الحجاج ، قال : جاءتهم التوراة جملة واحدة ، فكبُر عليهم ، فأبوا أن يأخذوه حتى ظلل الله عليهم الجبل ، فأخذوه عند ذلك .

فهذه آثار صحيحة صريحة في إنزال التوراة جملة . ويؤخذ من الأثر الأخير منها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرقاً ، فإنه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج ، بخلاف مالو نزل جملة واحدة ، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس ، لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهى . أ هـ .

---

(١) سورة الأعراف الأيتان ١٤٤، ١٤٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٠٥ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٤ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٧١ .

ويوضح ذلك ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : " لا تشربوا الخمر " لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل : " لا تزنوا" لقالوا : لا ندع الزنا أبداً[1] .

حكمة تنجيم القرآن

لتنجيم القرآن حكم كثيرة أهمها :

١- تثبيت فؤاد النبى صلى الله عليه وسلم ، ودليلها قوله تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك)[2] فإن فى تجدد الموحى به وتكرر نزول جبريل من الله تعالى ما يدخل السرور على الرسول صلى الله عليه وسلم ويشرح صدره ، ويزيل عنه عناء المشركين وصدودهم بما يشعره بأنه فى كنف الله وعنايته ورضاه فكلما اشتد الأذى به صلى الله عليه وسلم كلما سلاه ربه ، تارة بقصص الأنبياء والمرسلين ، كما يقول الله تعالي :(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)[3] وتارة بطلب الصبر ووعد الله له بالتأييد كما فى قوله تعالى : (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)[4] وتارة بوعيد الله لأعدائه وإنذاره لهم كما فى قوله تعالى :(سيهزم الجمع

---

(١) أخرجة البخارى فى صحيحه . كتاب : فضائل القرآن . باب : تأليف القرآن ٣٧/٩ من الفتح .

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٢ .

(٣) سورة هود الآية ١٢٠.

(٤) سورة الطور الآية ٤٨ .

ويولون الدبر)[١] إلى غير ذلك من أساليب التسلية والتثبيت .

٢- تيسير حفظ القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم وعلي أمته ، قال تعالى :(وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً)[٢].

ومن المعلوم أن الأمة العربية كانت لا تقرأ ولا تكتب ، وكانت مشغولة بمعاشها وجهادها ، فكان نزول القرآن مفرقاً ميسراً لحفظه وفهمه وتبليغه ونشره .

٣- التدرج بالأمة في تخليهم عن الرذائل ، وتحليهم بالفضائل فلو أنهم أمروا بكل الواجبات ونهوا عن جميع المنكرات دفعة واحدة لشق عليهم ، ولضعفت هممهم عن التجاوب والمسايرة .

لقد كان القرآن الكريم بادىء ذى بدء يتناول أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار ، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين ، حتى يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنية ويغرس فيها عقيدة الإسلام .

وكان يأمر بمحاسن الأخلاق التى تزكو بها النفس ويستقيم عوجها ، وينهى عن الفحشاء والمنكر ليقتلع جذور الفساد والشر ويبين قواعد الحلال والحرام التى يقوم عليها صرح الدين ،

---

(١) سورة القمر الآية ٤٥ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠٦ .

وترسو دعائمه فى المطاعم والمشارب والأموال والأعراض والدماء .

ثم تدرج التشريع بالأمة فى علاج ما تأصل فى النفوس من أمراض اجتماعية بعد أن شرع لهم من فرائض الدين وأركان الإسلام ما يجعل قلوبهم عامرة بالإيمان خالصة لله ، تعبده وحده لا شريك له .

كما كان القرآن يتنزل وفق الحوادث التى تمر بالمسلمين فى جهادهم الطويل لإعلاء كلمة الله .

ولهذا كله أدلته من نصوص القرآن إذا تتبعنا مكيه ومدنيه وقواعد تشريعه .

ففى مكة شرعت الصلاة ، وشرع الأصل العام للزكاة مقارناً بالربا (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون .وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضْعِفُون)[1] .

ونزلت سورة الأنعام – وهى مكية – تبين أصول الإيمان وأدلة التوحيد، وتندد بالشرك والمشركين وتوضح ما يحل وما يحرم من المطاعم ، وتدعو إلى صيانة حرمات الأموال والدماء والأعراض : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به

---

(١) سورة الروم الآيتان : ٣٨ ، ٣٩ .

شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشدهُ ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون [١].

ثم نزل بعد ذلك تفصيل هذه الأحكام .

فأصول المعاملات المدنية نزلت بمكة ، ولكن تفصيل أحكامها نزل بالمدنية كآية المداينة وآيات تحربم الربا .

وأسس العلاقات الأسرية نزلت بمكة ، أما بيان حقوق كل من الزوجين ، وواجبات الحياة الزوجية ، وما يترتب على ذلك من إستمرار العشرة أو إنفصالها بالطلاق أو انتهائها بالموت ثم الإرث فقد جاء فى التشريع المدنى .

وأصل الزنا حرم بمكة :(ولا تقربوا الزنا ، إنه كان فاحشة وساء سبيلا)[٢] . ولكن العقوبات المترتبة عليه نزلت بالمدنية .

وأصل حرمة الدماء نزل بمكة :(ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق[٣] ولكن تفصيل عقوباتها من الإعتداء على النفس

---

(١) سورة الأنعام : الآيتان ١٥١، ١٥٢ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٣٢ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٣٣ .

والأطراف نزل بالمدينة .

وأوضح مثال لذلك التدرج فى التشريع تحريم الخمر .

فقد نزل قوله تعالى :(ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً ، وإن فى ذلك لآيةً لقوم يعقلون)[١] من معالم الإمتنان بنعمه سبحانه - وإذا كان المراد بالسكر ما يسكر من الخمر ، وبالرزق ما يؤكل من هاتين الشجرتين كالتمر والزبيب - وهذا ما عليه جمهور المفسرين - فإن وصف الرزق بأنه حسن دون وصف السكر يشعربمدح الرزق والثناء عليه وحده دون السكر.

ثم نزل قوله تعالى :(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثْمُهُمَا أكبر من نفعهما)[٢] فقارنت الآية بين منافع الخمر فيما يصدر عن شربها من طرب ونشوة أو يترتب على الإتجار بها من ربح . ومضارها من إثم تعاطيها وما ينشأ عنه من ضرر فى الجسم ، وفساد فى العقل ، وضياع للمال وإثارة لبواعث الفجور والعصيان ، ونفرت الآية منها بترجيح المضار على المنافع .

ثم نزل قوله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)[٣] فاقتضى هذا الإمتناع عن شرب الخمر فى الأوقات التى يستمر تأثيرها إلى وقت الصلاة حيث جاء النهى عن قربان

---

(١) سورة النحل : الآية ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

(٣) سورة النساء الآية : ٤٣ .

الصلاة فى حالة سكر حتى يزول عنهم أثره ، ويعلموا ما يقولونه فى صلاتهم .

ثم نزل قوله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميْسرَ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكُمُ العداوةَ والبغضاءَ فى الخمر والميسر ويصدكُمُ عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون[١] فكان هذا تحريماً قاطعاً للخمر فى الأوقات كلها .

ويوضح هذه الحكمة ما روى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت إنما نزل أدل ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أولشىء "لا تشربوا الخمر " لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل " لا تزنوا" لقالوا : لا ندع الزنا أبداً [٢] .

وهكذا كان التدرج فى تربية الأمة وفق ما يمر بها من أحداث فقد إستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته فى أسرى بدر ، فقال عمر : اضرب أعناقهم ، وقال أبو بكر : نرى أن نعفر عنهم أو تقبل منهم الفداء ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى أبىبكر فنزل قوله تعالي (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)[٣] .

---

(١) سورة المائدة الآيتان ٩٠، ٩١ .

(٢) أخرجة البخارى .

(٣) سورة الأنفال الآيتان : ٦٧، ٦٨ .

وأعجب المسلمون بكثرتهم يوم حنين حتى قال رجل : لن نغلب اليوم من قلة ، فتلقوا درساً قاسياً فى ذلك ، ونزل قوله تعالى : (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم)(١).

ولما توفى عبد الله بن أبى - رأس المنافقين - "دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام عليه ، فلما وقف قال عمر : أعلى عدو الله عبد الله بن أبى القائل كذا وكذا ، والقائل كذا وكذا ؟ يعدد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم، ثم قال له إنى قد خيرت ، قد قيل لى ، (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)(٢) فلو أعلم إنى إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها ، ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه ، قال عمر : فعجبت لى ولجرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : (ولا تصلى على أحد

---

(١) سورة التوبة الأيتان : ٢٥ ، ٢٧ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٨٠ .

منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ....)[١] فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعد حتى قبضه الله عز وجل"[٢]

وحين تخلف نفر من المؤمنين الصادقين فى غزوة تبوك وأقاموا بالمدينة، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لديهم عذراً هجرهم وقاطعهم حتى ضاقوا ذرعاً بالحياة ، ثم نزل القرآن لقبول توبتهم : (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العُسْرة من بعد ما كاد يزيغ قلوبُ فريقٍ منهم ثم تاب عليهم ، إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم)[٣] ويشير إلى هذا ما روى عن ابن عباس فى نزول القرآن : "ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم"[٤].

٤- مسايرة الحوادث فكانت الآيات تنزل أحياناً جواباً عن سؤال صريح كما فى قوله تعالى :(ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً)[٥] . وقوله :(يسألونك عن الروح قل

---

(١) سورة التوبة الآية ٨٤ .

(٢) أخرجه البخارى وأحمد والنسائى والترمذى وابن ماجه وغيرهم .

(٣) سورة التوبة الآيتان ١١٧، ١١٨. من حديث طويل أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما والثلاثة هم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار .

(٤) أخرجه الطبرانى والبزار عن ابن عباس - وأخرجه ابن أبى حاتم من وجه آخر .

(٥) سورة الكهف الآية ٨٣ .

الروح من أمـــر ربى ومـــا أوتيــتم من العلم إلا قليـــلاً)[١]، وقوله: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)[٢] . (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم)[٣].

ولا ريب أن تلك الأسئلة كانت ترفع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى أوقات مختلفة ، وعلى نوبات متعددة ، فلا بدع أن ينزل الجواب عليها كذلك فى أوقات مختلفة ، ونوبات متعددة .

وأحياناً كانت تنزل خاصة بواقعة وحادثة معينة كآيات الإفك . وأحياناً كانت تصحح الأخطاء وتوجه إلى ما ينبغى أن يكون ، كآية أسرى بدر (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة)[٤] .

وأحياناً كانت تكشف المنافقين وتهتك أستارهم كقوله تعالى : (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)[٥].

٥- الإشارة إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده ، فقد استمر نزول القرآن ثلاثاً وعشرين سنة يتحدى الناس قاطبة ، فعجزوا عن الاتيان بمثله أو بمثل عشر سور منه أو سورة واحدة ، ولو نزل

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٠ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٦٧ .

(٥) سورة المنافقون الآية ٨ .

عليهم مرة واحدة لاعتذروا بأنه شيء جاءهم مرة واحدة ولا يقدرون على معارضته ، فقطع عليهم معذرتهم وأنزله مفرقاً ، وتحداهم على مراتب ، وأثبت عجزهم المرة بعد المرة :

وأيضاً فقد أخرج الإمام أحمد [(١)] والترمذي[(٢)] من حديث ابن عباس عن عثمان رضى الله عنه قال ": كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى فيها كذا وكذا ...الحديث " والرسول صلي الله عليه وسلم بشر لا يدري ما ستجيء به الأيام ، وقد أكتمل القرآن على تباعد زمن نزوله ، وكان فى غاية الإحتكام والإنسجام ليس فيه تناقض ولا خلل (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً) [(٣)] وصدق الله العظيم حيث يقول :(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) [(٤)] وهذا دليل من أدلة إعجازه.

٦- أيضاً فإن نزول القرآن منجماً نتيجة حتمية لتأخر الناسخ عن المنسوخ ، فقد شاءت حكمة الله تعالي أن ينسخ من كتابه التلاوة أو الحكم أو هما معاً تدرجا .. من السهل الى الصعب ، للترقى بالأمة فى مدارج الكمال ، أو انتقالاً من الصعب ، وهو كثير تخفيفاً على الأمة وتيسيراً عليها ، ولا يتأتى النسخ إلا فيما نزل مفرقاً وتفاوتت بينه الأزمان .

---

(١) في مسنده ١/٥٧ .

(٢) في سننه كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ٥/٢٧٢ . قال أبو عيسى " هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف بن يزيد الفارسى عن ابن عباس .

(٣) سورة النساء الآية ٨٢ .

(٤) سورة هود الآية ١ .

المبحث الثانى

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

هذا الفصل يدور البحث فيه على التوقيف والنقل عن الصحابة ومن تبعهم ومجال العقل فيه لا يعدو الجمع بين الروايات التى يظهر التعارض بينها والترجيح بين الأدلة .

والبحث عن أول ما نزل وآخر ما نزل تارة يكون بالنسبة لموضوع مخصوص كأول ما نزل فى الجهاد وآخر ما نزل فيه ، وأول ما نزل فى الربا وآخر ما نزل فيه وغير ذلك . وهذا ما يعبر عنه بالأولوية والآخروية المقيدة بموضوع معين .

ويطلق هذا الإصطلاح على إطلاقه بالنسبة لجميع القرآن، فيقال أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل من القرآن .

وليس المقصود هنا أن نبحث عن أول ما نزل وآخر ما نزل فى موضوعات معينة ، إذ أن هذا جهد عظيم . ولهذا لن نشعب البحث ، وإنما سنكتفى بذكر أرجح الآراء فى أول ما نزل وآخر ما نزل مطلقاً . فقد ورد فى ذلك أقوال أربعة :

أحدها : وهو الصحيح . أنه صدر سورة (اقرأ باسم ربك) إلى قوله (علم الإنسان ما لم يعلم) وإنما كان هذا أصح الأقوال لما يؤيده من الروايات الصحيحة الكثيرة التى من أهمها :

١- روى الشيخان وغيرهما - واللفظ للبخارى - عن عائشة رضي الله عنها قالت :" أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من

الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [١] ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذنى فغطنى [٢]. حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : أقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نّزل الله على

---

(١) فلق الصبح : ضياؤه .

(٢) غطنى : أى ضمنى وعصرنى ، والغط: حبس النفس .

موسى ، يا ليتني فيها جذَعاً [1]، يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مُخْرِجِيَّ هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى [2] .

وهذا الحديث يحتمل أن تكون السيدة عائشة رضى الله عنها سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجوز أن تكون سمعته من بعض الصحابة ، وإرساله لا يقدح فى حجيته ، لأن مرسل الصحابى حجة بلا خلاف يعتد به فى ذلك .

٢- وروى الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الدلائل - وصححاه - عن عائشة رضى الله عنها قالت :"أول سورة نزلت من القرآن (اقرأ باسم ربك) والمراد صدر السورة كما في الصحيحين [3].

٣- وروى الطبرانى فى الكبير بسند على شرط الصحيح عن أبى رجاء العطاردى ، قال : كان أبو موسى يُقرئنا فجلسنا حلقاً ، عليه ثوبان أبيضان ، فإذا تلا هذه السورة :(اقرأ باسم ربك الذى خلق) قال : هذه أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم [4].

ووردت آثار فى هذا القول شاهدة له أوردها السيوطى فى "الإتقان" يرجع إليها من أراد المزيد من الأدلة .

---

(١) الجذع : بفتح الجيم والذال : وهو الصغير من البهائم ، كأنه تمنى أن يكون شابا عند ظهور الدعاء إلى الإسلام ليكون أمكن لنصره .

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٥/١ - ٣٠ من الفتح .

(٣) الإتقان ٦٨/١ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

القول الثانى : أن أول ما نزل على الإطلاق (يا أيها المدثر) دليله ما رواه الشيخان واللفظ للبخارى عن يحيى بن أبى كثير سألت أبا سلمة ابن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ؟ قال " يا أيها المدثر "قلت : يقولون " اقرأ باسم ربك الذى خلق " ؟ فقال أبو سلمة : سألت جابرابن عبد الله رضى الله عنهما عن ذلك وقلت له مثل الذى قلت ، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاورت بحراء ، فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت ، فنظرت عن يمينى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامى فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفى فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسى فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء بارداً ، قال فدثرونى وصبوا على ماء باردا ، ، قال : فنزلت "يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر " (١).

أمام هذه التعارض بين حديث جابر وحديث عائشة - قال بعض العلماء إنهما متعارضان وجزم بخطأ جابر ومن هؤلاء النووى حيث قال فى شرحه على صحيح مسلم : (قوله " إن أول ما أنزل قوله تعالى : يا ايها المدثر " ضعيف بل باطل والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق أقرأ باسم ربك) (٢)

ومن العلماء من جمع بينهما وقال :

١- إن السؤال كان عن سورة كاملة ، وبين جابر أن سورة المدثر

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير باب : قوله وربك فكبر ١٠/٣٠٤- ٣٠٥ من الفتح .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢/٢٠٧ .

نزلت بتمامها قبل بقية " اقرأ" .

٢- أو أن مراده بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحى (١) ولكن هذا الجمع غير مقنع ، لأنه ورد فى سؤال السائل " عن أول ما نزل من القرآن "وورد " يقولون : اقرأ باسم ربك الذى خلق " فيجب أن يكون الجواب على حسب السؤال .

وأيضاً لو أراد جابر بالأولية أولية مخصوصة : بكونها أولية السور التى نزلت كاملة أو بكونها أولية ما نزل بعد فترة الوحى ، لأبان عن مراده عندما راجعه أبو سلمة فى جوابه ، ولكنه أصر على قوله فتعين أنه يريد الأولية على الإطلاق .

والجواب الحق أن جابرا استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته ، ويقدم عليه ما روته السيدة عائشة ، حيث أن النصُ مقدم على الإجتهاد .

علماً بأن جابر له فى الصحيحين حديث عن طريق الزهرى قال : "أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه : فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً فقلت : زملونى زملونى ، فدثرونى ، فأنزل الله تعالى

(١) ذكره السيوطى فى الإتقان ١/ ٧٠ .

- يا أيها المدثر - إلى - والرجز فاهجر " [١].

فقوله " وهو يحدث عن فترة الوحى " يدل على أن صدر سورة المدثر إنما نزل بعد فترة الوحى ، وقوله صلى الله عليه وسلم " فإذا الملك الذى جاءنى بحراء " يدل على أن هذه القصة متأخرة عن القصة السابقة التى نزل فيها صدر سورة اقرأ .

ومن الأجوبة التى ذكرها الزركشى :" أن أول ما نزل للرسالة :(يا أيها المدثر) وللنبوة :(اقرأ باسم ربك) ، فإن العلماء قالوا : قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) دال علي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن النبوة عبارة عن الوحى إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص ، وقوله : (يا أيها المدثر . قم فأنذر) دليل على رسالته صلى الله عليه وسلم ، لأنهـا عبارة عن الوحى إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام " [٢].

والجواب الذى ترتضيه للتوفيق بين القولين : أن صدر سورة اقرأ أول ما نزل على الإطلاق ، وأن صدر سورة المدثر أول ما نزل بعد فترة الوحى.

القول الثالث : أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة - قال

---

(١) أخرجة مسلم فى صحيحه . كتاب الإيمان . باب بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢/٢٠٥ - ٢٠٦ شرح النووى .

(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ١/٢٠٨ .

الزمخشرى[١]": ذهب ابن عباس ومجاهد الى أن أول سورة نزلت "اقرأ" وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل " ولكن ابن حجر صرح بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل من القليل .

واستدل أصحاب هذا القول بما أخرجه البيهقى فى الدلائل بسنده عن أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة " . إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء ، فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً " فقالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعل بك ، فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث . فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له ، وقالت . أذهب مع محمد إلى ورقه فانطلقا فقصا عليه ، فقال :" اذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً فى الأفق " ، فقال لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم أئتنى فأخبرنى . فلما خلا ناداه : يا محمد : قل (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالين) .... الحديث" وقد ذكر السيوطى هذا الحديث وعقب عليه بأنه مرسل رجاله ثقات [٢].

القول الرابع : إن أول ما نزل هو "بسم الله الرحمن الرحيم "- ذكر السيوطى أن الواحدى أخرجه بإسناده عن عكرمة والحسن قالا ، أول ما نزل من القرآن " بسم الله الرحمن الرحيم " ، وأول سورة " اقرأ باسم ربك " - وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال :" أول ما نزل جبريل على النبى

---

(١) فى الكشاف ٤/٢٢٣ .

(٢) انظر الإتقان ١/٧١ .

صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم " وقد عقب السيوطى على هذا القول فقال :" وعندى أن هذا لا يعد قولا برأسه ، فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها ، فهى أول آية نزلت علي الإطلاق . " (١) .

كما رد الشيخ الزرقانى هذا الإستدلال فقال : "وهذا الإستدلال مردود من ناحيتين : إحداهما أن الحديث مرسل فلا يناهض المرفوع . الثانية: أن البسملة كانت بطبيعة الحال تنزل صدراً لكل سورة إلا ما استثنى . إذن فهى نازلة مع ما نزل من صدر سورة اقرأ ، فلا يستقيم اعتبار الأولية فى نزولها قولاً مستقلاً برأسه " (٢).

---

(١) الإتقان ١/٧١ .

(٢) مناهل الفرقان ١/٨٩ .

آخر ما نزل من القرآن

لم يرد فى آخر ما نزل شيء مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم لذلك اختلف العلماء فى تعيين آخر ما نزل من القرآن علي الإطلاق ، وقد وردت هذه الأخروية إلى الآيات تارة ، وإلي السور تارة أخرى لذلك كثر الخلاف على أقوال شتى .

الأول : أن أخر ما نزل آية الربا لما أخرجه البخارى عن ابن عباس قال " آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم آية الربا" (١) والمراد بها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا) الآية(٢) .

الثانى : وقيل آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى :(واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (٣) . أخرج ابن جرير باسناده عن ابن جريج قال:قال ابن عباس : أُخر آية نزلت من القرآن (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) قال ابن جريج : يقولون أن النبى صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال " (٤) .

الثالث : وقيل آخر ما نزل آية الدين ، وهى قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) إلى قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير . باب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ٢٧١/٩ من الفتح .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨١ .

(٤) تفسير الطبرى ٧٦/٣ .

(والله بكل شيئ عليم) [١] وهي أطول آية في القرآن . أخرج ابن جرير " عن ابن عباس قال آخر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا" [٢] .

وعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال : كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا وأن نبي الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها فدعوا الربا والريبة [٣] .

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله السيوطي : [٤] "الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ، ولأنها في قصة واحدة ، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر ، وذلك صحيح " .

وقال الزرقاني : [٥] " ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولاً هو قول الله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) وذلك لأمرين أحدهما : ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين ، بسبب ما تحث عليه من الإستعدادليوم المعاد ، وما تنوه به من الرجوع إلى الله ، واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها .

ثانيهما : التنصيص في رواية ابن أبي حاتم على أن النبي صلى الله

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

(٢) تفسير الطبري ٣/٧٥ .

(٣) تفسير الطبري ٣/٧٥ .

(٤) في الإتقان ١/٧٨ .

(٥) في مناهل العرفان ١/٩٠-٩١ .

عليه وسلم عاش بعدها تسع ليال فقط ، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله "أ.هـ " .

الرابع : وقيل آخر ما نزل آية الكلالة . فقد روى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة)[1] وحملت الآخرية هنا فى قول البراء على أنها مقيدة بما يتعلق بالمواريث .

الخامس : وقيل آخر ما نزل قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)[2] إلى آخر السورة . روى الحاكم فى المستدرك وابن مردوية عن أُبى قال :"آخر القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم ..." وروى عن البراء بن عازب قال :" آخر سورة نزلت براءة "[3] . وحمل هذا على أنها آخر ما نزل من سورة براءة .

السادس : وقيل آخر ما نزل سورة المائدة ، لما روى عن عبد الله بن عمرو قال : آخر سورة أنزلت المائدة[4] ، وأجيب بأنها آخر سورة نزلت فى الحلال والحرام ، فلم تنسخ فيها أحكام .

السابع : وقيل آخر ما نزل قوله تعالى : (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)[5] لما

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير . باب يستفتونك ٣٣٧/٩ من الفتح .

(٢) سورة التوبة الأيتان ١٢٨، ١٢٩.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير . باب براءة من الله ورسوله .. ٣٨٦/٩ من الفتح .

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه . كتاب تفسير القرآن باب من سورة المائدة ٢٦١/٥ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٩٥ .

أخرجه ابن مردوية ، من طريق مجاهد ، عن أم سلمة ، قالت : آخر آية نزلت هذه الآية (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم) إلى آخرها .

قال السيوطى : وذلك أنها قالت : يا رسول الله أرى ، الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء ! فنزلت : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) [١] ونزلت (إن المسلمين والمسلمات) [٢] ونزلت هذه الآية فهى آخر الثلاثة نزولاً ، أو آخر ما نزل بعد ما كان ينزل فى الرجال خاصة " [٣] .

الثامن : وقيل آخر ما نزل آية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)[٤] لما أخرجه البخارى [٥] وغيره عن مغيرة بن النعمان قال : سمعت سعيدابن جبير قال : آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال : نزلت هذه الآية - ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم - هى آخر ما نزل وما نسخها شىء . والتعبير بقوله " وما نسخها شىء " يدل على أنها آخر ما نزل فى حكم قتل المؤمن عمداً .

التاسع : أن آخر ما نزل سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) فقد أخرج

---

(١) سورة النساء الآية ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٥ .

(٣) انظر الإتقان ١/ ٨٠ .

(٤) سورة النساء الآية ٩٣ .

(٥) فى صحيحه . كتاب التفسير . باب . ومن يقتل مؤمناً متعمداً - ٩/ ٣٢٦ من الفتح .

مسلم عن ابن عباس ، وقال : " آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح" وحمل ذلك على أن هذه السورة آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم كما فهم بعض الصحابة .

هذا وقد سلك بعض العلماء طريقة أخرى فى التوفيق بين هذه الأقوال قال الزركشى [١] :"قال القاضى أبو بكر فى "الإنتصار": وهذه الأقوال ليس فى شىء منها ما رفع إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الإجتهاد ، وتغليب الظن ، وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط ، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ونزول الوحى عليه بقرآن بعده .

وقال السيوطى [٢] : من المشكل على ما تقدم قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم) [٣] فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع ، وظاهرها.

إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها ، وقد صرح بذلك جماعة منهم السُدى فقال : لم ينزل بعدها حلال ولا حرام ، مع أنه وارد فى آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك . وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال:

---

(١) فى البرهان ١/ ٢١٠ .

(٢) فى الإتقان ١/ ٨١ .

(٣) سورة المائدة الآية ٣ .

الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإقرارهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه ، حتى حجة المسلمين لا يخالطهم المشركون فكان ذلك من تمام النعمة " أ .هـ .

ومعنى الآية على هذا أن المراد من إكمال الدين إكمال سلطانه وإعلان كلمته وتقوية شوكته ، وهذا لا ينافى أن ينزل بعدها آيات فى الحلال والحرام والوعظ والتذكير .

وبذلك فهى ليست آخر ما نزل من القرآن وهو التحقيق خلافاً لما يتبادر إلى الذهن ، وما جرى عليه بعض العلماء . والله أعلم .

المبحث الثالث
ترتيب آيات القرآن وسوره

الآيات جمع آية ، وهى نوعان : تنزيلية وتكوينية .

فالآية التنزيلية هى الآية القرآنية ، وإليها الإشارة بقوله تعالى : (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ..) [١] ... الآية .

والآية التكوينية هى مظهر من المظاهر الكونية ، التى أبدعها الله تبارك وتعالى ، ونصبها دليلاً وبرهاناً على وجوده ، وقدرته ، كالسموات والأرض ، والشمس والقمر ، والإنسان .. وما إلى ذلك مما لا يقع تحت حصر أو إحصاء .

والآية الكونية نوعان : آفاقية - نسبة إلى الآفاق - وأنفسيَة - نسبة إلى الأنفس ...

ومن النوع الأول يشير إليه قوله تعالى : (ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين)[٢]

وقوله تعالى (وفى الأرض آيات للموقنين) [٣] .

وإلى الثانى يشير قوله تعالى :(وفى أنفسكم أفلا تبصرون) [٤] .

---

(١) سورة الحديد الآية ٩ .

(٢) سورة الروم الآية ٢٢ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٢٠ .

(٤) سورة الذاريات الآية ٢١ .

وإلى النوعين معا يشير قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق) [١] .

وكلامنا الآن فى بيان معنى الآية التنزيلية وفيه نقول :

للآية فى اللغة عدة إطلاقات :

١- المعجزة ، ومنه قوله تعالى :(سل بنى اسرائيل كم أتيناهم من آية بينة) [٢] - أى معجزة واضحة .

٢- العلامة ، ومنه قوله تعالى : (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) [٣] - أى علامة ملكه .

٣- العبرة ، ومنه قوله تعالى (إن فى ذلك لآية) [٤] - أى عبرة لمن يعتبر .

٤- الأمر العجيب ، ومنه قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية)[٥].

٥- الجماعة ، ومنه قولهم : خرج القوم بآياتهم أى بجماعتهم ، فالمعنى أنهم لم يدعوا ورائهم شيئاً .

---

(١) سورة فصلت الآية ٥٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١١ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٨ .

(٤) سورة الشعراء الآية ٦٧ .

(٥) سورة المؤمنون الآية ٥٠ .

٦- البرهان والدليل ، نحو قوله جل ذكره : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)[١] .

أما الآية فى الإصطلاح فقد خصت بأنها طائفة من القرآن ذات مطلع ومقطع ، مندرجة فى سورة من القرآن .

والعلاقة بين المعنى اللغوى والشرعى واضحة ، لأن آية القرآن معجزة ، ولو باعتبار انضمام غيرها إليها ، وهى علامة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها عبرة وعظة ، وفيها البرهان والدليل ، على ما تضمنته من هداية وإرشاد[٢] .

وطريق معرفة الآية القرآنية بدئها ونهايتها ، هو تعليم النبى صلى الله عليه وسلم وإرشاده ، ولا مجال للرأى والإجتهاد . هذا هو القول المعتمد ، وقد اختلفت الآيات طولاً وقصراً ، فأطولها آية المداينة ، وأقصرها ما حكاه أبو عمرو الدانى حيث قال :" لا أعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله :(مدهامتان)[٣] "[٤] .

قال السيوطى[٥]: "وقال غيره : بل فيه غيرها ، مثل : والنجم ، والضحى ، والعصر ، وكذا فواتح السور عند من عدها " .

---

(١) سورة الروم الآية ١٢ .

(٢) أنظر لسان العرب ٦٢/١٤، والبرهان ٢٦٦/١ ، والإتقان ١٨٧/١ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٦٤ .

(٤) انظر الإتقان ١٨٨/١ .

(٥) المرجع السابق .

عدد آيات القرآن

قال الداني : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومائتا آية ، وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة ، وقيل : وتسع عشرة ، وقيل : وخمس وعشرون ، وقيل : وست وثلاثون [(١)] أ .هـ .

وسبب إختلاف السلف في عدد الآيات أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رءوس الآي للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل لتمام المعنى ، فيحسب السامع ، حينئذ أنها ليست فاصلة ، فيصلها بما بعدها معتبراً أن الجميع آية واحدة ، والبعض يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها.

فوائد معرفة الآيات

قال السيوطي : يترتب على معرفة الآي وعدها وفواصلها آحكام فقهية منها .

١- إعتبارها فيمن جهل الفاتحة ، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات.

٢- إعتبارها في خطبة الجمعة ، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ، ولا يكفي شطرها .

٣- اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة ، أو ما يقوم مقامها - فقد انعقد الإجماع على أن الصلاة لا تصح بنصف آية وقال بعض

---

(١) انظر الإتقان : ١/١٨٩ .

العلماء تجزى بآية وقال غيرهم بثلاث آيات وقال غيرهم بسبع آيات.

٤- اعتبارها فى الوقف عليها [١] .

وزاد الشيخ الزرقانى على هذه الفوائد فائدة أخرى وهى :

العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وفى حكمها الآية الطويلة التى تعدل بطولها تلك الثلاث القصار . ووجه ذلك أن الله تعالى أعلن التحدى بالسورة الواحدة فقال سبحانه : (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) [٢] والسورة تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأطول سورة . وأقصر سورة فى القرآن هى سورة الكوثر ، وهى ثلاث آيات قصار . فثبت أن كل ثلاث آيات قصار معجزة ، وفى قوتها الآية الواحدة الطويلة التى تكافئها [٣] .

---

(١) الإتقان ١٩٦/١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٣) مناهل العرفان ٣٣٧/١ - ٣٣٨ .

ترتيب آيات القرآن الكريم في سورها

أجمعت الأمة على أن ترتيب الآيات في سورها على ما نراه فى المصاحف واقع بتوقيف النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت الآيات تنزل عليه ويدله جبريل على مواضعها ويبلغها صلى الله عليه وسلم للصحابة ، ويأمر كتاب الوحى بوضعها فى مكانها ، وقد كان جبريل يعارضه بالقرآن فى رمضان فى كل عام مرة وعارضه فى آخر عام مرتين مرتباً الآيات على ما هى عليه الآن ، وقد حفظته الصحابة وجمعوه على هذا الترتيب .

وممن حكى هذا الإجماع جماعة من العلماء منهم الزركشى فى البرهان قال : " فأما الآيات فى كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفى بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تعكيسها" [١] وقال مكى : " ترتيب الآيات فى السور ووضع البسملة فى الأوائل هو من النبى صلى الله عليه وسلم . ولما لم يأمر بذلك فى أول سورة براءة تركت بلا بسملة " [٢] . وقال القاضى أبو بكر : ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا فى موضع كذا .. [٣]

ومن الأحاديث الدالة على ذلك :

١- ما رواه الإمام أحمد عن عثمان بن أبى العاص قال : كنت جالساً

---

(١) البرهان ١/٢٥٦ .

(٢) مقدمة القرطبى ١/٥٩ .

(٣) البرهان ١/٢٥٦ .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : "أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى " إلى آخرها .

٢- وروى الترمذي [١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وهذا من أوضح الأدلة على أن هذا الترتيب بأمر من الله تعالى إلى جبريل ، ولأجله كان النبي صلى الله عليه وسلم يدلهم على موضع السور من القرآن ، والآية من السورة ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه .

٣- وروى البخاري قال :" قال ابن الزبير قلت لعثمان بن عفان : "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً " نسختها الآية الأخرى ، فلِمَ تكتبها أو تدعها (والمعنى لماذا تكتبها ؟ مع أنها منسوخة) قال يا بن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه " [٢] وفي جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآي توقيفي وكأن عبد الله بن الزبير ظن أن الذي ينسخ حكمه لا يكتب فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقيف .

٤- ومن الأدلة أيضاً : وجود آيات مدنية في سور مكية . فسورة الحج مثلاً مكية ، ومنها قوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا

---

(١)في سننه كتاب تفسير القرآن . باب : ومن سورة التوبة ٢٧٢/٥ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب : التفسير ٢٦٨/٩ من الفتح .

وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ...." الآيتين [١] وهما مدنيتان ، فقد أخرج الإمام أحمد والترمذى وحسنه الحاكم وصححه النسائى عن ابن عباس قال (لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ليهلكن فأنزل الله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) فقال أبو بكر لقد علمت أنه سيكون قتالا) ولاخلاف فى أن القتال كان محظوراً قبل الهجرة وقد أمروا به فى المدينة .

٥- أحاديث خواتيم سورة البقرة وأوائل سورة الكهف وهما عند البخارى ومسلم وغيرهما . ولفظ البخارى فى خواتيم البقرة " عن أبى مسعود قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه" [٢] ورواية مسلم عن أبى الدرداء مرفوعاً " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" [٣] وفى رواية العشر الأواخر من سورة الكهف .

٦- ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال : "ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء ما راجعته فى الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء" [٤] . فقد بين النبى صلى الله عليه وسلم موضع الآية من سورة النساء ، وهى قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ...)

---

(١) سورة الحج الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب فضائل القرآن . باب فضل سورة البقرة ١٠/٤٣١ ، ٤٣٢ من الفتح .

(٣) رواه مسلم . رياض الصالحين ص ٣٠٨ .

(٤) أخرجه مسلم . كتاب الفرائض ١١/٥٧ شرح النووى .

وقد يشكل على ترتيب الآيات :

قول زيد بن ثابت في الحديث الذى رواه البخارى فى جمع أبى بكر

"فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف و العسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبى خزيمة الأنصارى ، لم أجدهما مع أحد غيره : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم"- إلى آخرها [١] .

وفيه عن أنس بن مالك فى الجمع فى عهد عثمان رضى الله عنه قال ابن شهاب وأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصارى الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " فألحقناها فى سورتها فى المصحف [٢]

فإن هذا يدل بظاهره أن القرآن يثبت بخبر الواحد ، وكذلك ترتيبه يكون باجتهاد الصحابة وعليه يجد الطاعنون مدخلاً لنفى الثقة عن القرآن الموصي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا متواتراً .

ولكن هذا لا يقدح فى الجمع ولا فى ترتيب الآى ، لأن هذا الخبر معارض للقاطع ، وهو ما أجمعت عليه الأمة . ومعارض القاطع ساقط عن درجة الإعتبار ، فهذا الخبر ساقط مردود على قائله .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير ٤١٤/٩ . من الفتح .

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير ١٣٧/١٠ من الفتح .

ويحتمل أن يكون سقوطها منه من باب الغفلة وكثيراً ما تعترى السارحين فى رياض حظائر قدس كلام رب العالمين فيذكرهم سبحانه بما غفلوا فيتداركون ما أغفلوا . وزيد هذا كان فى الجمعين ولعله الفرد المعول عليه فى البين لكن عراه فى أولها ما عراه . وفى ثانيهما ذكره من تكفل بحفظ الذكر فتدارك ما نساه [١] .

ومعنى قول زيد :"حتى وجدت من سورة التوبة آيتين لم أجدهما مع أحد غيره " أنه لم يجد الآيتين اللتين هما ختام سورة التوبة مكتوبتين عند أحد إلا عند أبى خزيمة ، فالذى انفرد به أبو خزيمة هو كتابتهما لا حفظهما ، وليست الكتابة شرطاً فى التواتر ، بل المشروط فيه أن يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ولو لم يكتبه واحد منهم ، فكتابة أبى خزيمة الأنصارى كانت توثقاً واحتياطا فوق ما يطلبه التواتر ويقتضيه ، فكيف نقدح فى التواتر بانفراده بها ؟! .

يقال مثل ذلك فيما روى عن زيد فى آية سورة الأحزاب :" من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " فإن معناه أن زيداً لم يجدها مكتوبة عند أحد إلا عند خزيمة بن ثابت الأنصارى ويدل على أن هذا هو المعنى الذى أراده زيد بعبارته تلك قول زيد نفسه فقدت آية من سورة الأحزاب الخ ، فإن تعبيره بلفظ "فقدت" يشعر بأنه كان يحفظ هذه الآية ، وأنها كانت معروفة له ، غير أنه فقد مكتوبها ، فلم يجده إلا مع خزيمة ، وإلا فمن الذى أنبأ زيداً أنه فقد آية ؟ [٢].

---

(١) روح المعانى للألوسى ٢٣/١ .

(٢) مناهل العرفان للزرقانى ٢٧٨/١ .

يضاف إلى ذلك قول زيد بن ثابت "كنت أسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرأ بها " أى فى آية الأحزاب ، ثم قوله "فألحقناها فى سورتها فى المصحف " فهذا يدل على أن زيداً كان يعلمها وهم جميعاً يعرفون موضعها من السورة ، فلم تكن ملحقة بهامش المصاحف مثلاً ، وقد جاء فى بعض الروايات أنهم تركوا لها مكاناً خالياً .

ولعل نساخ الصحف لما جمعوا القرآن سقطت هذه الآى عفواً عند الجمع ، أو لعل ورقتها سقطت من الصحف ، ولكنهم لم يفتأوا يذكرونها فى قراءاتهم وصلواتهم وتعليمهم ، وتتبع زيد لها " كان للاستظهار لا لاستحداث العلم [١] " .

فالحاصل : أن الصحابة رضوان الله عليهم جمعوا القرآن كما هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير ، بتوقيف من جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه .

سور القرآن الكريم

معنى السورة : السورة تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من أسأرت ، أى أفضلت ، من السؤر وهو ما بقى من الشراب فى الإناء ، كأنها قطعه من القرآن ، ومن لم يهمزها جعلها من المعني المتقدم وسهّل همزها ومنهم من يشبهها بسور البناء أى القطعة منه ، أى منزلة بعد منزلة ، وقيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع بالبيوت ، ومنه السوار لاحاطته بالساعد ، وقيل لارتفاعها وعلو شأنها

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢٣٤/١ .

(٢) لسان العرب ٣٨٦/٤ .

وشأن قارئها والسورة المنزلة الرفيعة[٢]، قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة .. ترى كل ملك حولها يتذبذب

وهى فى الإصطلاح : قرآن يشتمل على آى ، ذى فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات .. أو هى الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثبت أن أسماء السور ترقيفية يدل على ذلك الأحاديث والآثار ، وفى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال " هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة "[١] .

وسور القرآن مختلفة طولا وقصراً . فأقصر سورة فيه سورة الكوثر ، وهى ثلاث آيات قصار ، وأطول سورة فيه سورة البقرة ، وهى خمس وثمانون أو ست وثمانون ومائتا آية . وأكثر آياتها من الآيات الطوال . بل فيها آية الدّين التى هى أطول آية فى القرآن .

وسور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، ولكل سورة إسم خاص تعرف به .

الحكم من تقطيع القرآن إلى سور

لتجزئة القرآن إلى سور فوائد وحكم هى :-

١- تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله تعالى وسورت السور طوالاً وقصارا وأوساطا تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة إعجاز سورة البقرة .

---

(١) أنظر الإتقان ١/ ١٥٠ ، والبرهان ١/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

٢- أن تكون كل سورة فنا مستقلا وقرآنا معتبراً ، فسورة يوسف مثلا تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم إلى غير ذلك .

٣- أن الشيء إذا كان جنساً واندرجت تحته أنواع واشتملت الأنواع على أصناف ، كان أحسن وأفخم لشأنه ، ولا سيما إذا تلاحقت الأجزاء وتجاوبت بحسن الإلتئام ، وتعانقت الأمثال والحكم والأحكام والقصص في جمال وإحكام .

٤- أن فيه نشاطاً للقارىء وأثبت له على التحصيل ، مما لو استمر على الكتاب بطوله كالمسافر إذا قطع ميلا أو فرسخاً نفَّس ذلك عنه ونشط للسير ، ومن ثَمَّ جُزِّىء القرآن أجزاء وأخماساً .

٥- وأيضاً فإن الحافظ إذا حذق سورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ، ومنه حديث أنس " كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا" ومن ثم كانت القراءة بسورة في الصلاة أفضل .

٦- التيسير على الناس وتشويقهم إلى مدارسة القرآن وحفظه وفيه حكمة تدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها يسيرا يسيرا ، تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه ، فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من حصل على شيء عظيم ... إلى غير ذلك من الحكم والأسرار[1]

---

(١) أنظر البرهان ١/٢٦٤، ٢٦٥ ، والإتقان ١/١٨٦ ، ١٨٧ .

تقسيم سور القرآن بحسب طولها وقصرها

قال العلماء رضى الله عنهم : القرآن العزيز أربعة أقسام : الطوال ، والمئون ، والمثانى ، والمفصل .

فالطوال : سبع سور : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف . فهذه ستة ، واختلفوا فى السابعة قيل هى الأنفاق وبراءة معاً لعدم الفصل بينهما بالبسملة ، ولأنهم كانوا يعدونهما سورة واحدة حيث نزلتا فى القتال وسميت طولاً لطولها . وحكى عن سعيد بن جبير أنه عد السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

والمئون : ما ولى السبع الطوال . سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها .

والمثانى : ما ولى المئين ، وقد تسمى سور القرآن كلها مثانى لأن الأنباء والقصص تثنى فيه ، ومنه قوله تعالى (كتابا متشابها مثانى)[1] ، (ولقد آتيناك سبعا من المثانى)[2] هى آيات سورة الحمد، سماها مثانى لأنها تثنى فى كل ركعة .

والمفصل : ما ولى المثانى من قصار السور ، سمى مفصلاً لكثرة

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٣ .

(٢) سورة الحجر الآية ٨٧ .

الفصول التى بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم . وقيل لقلة المنسوخ فيه . وآخره (قل أعوذ برب الناس) .

واختلف فى تحديد أوله :

١- فمن العلماء من قال أوله الجاثية .

٢- ومنهم من قال أوله القتال - وقال الماوردى أنه قول الأكثرين .

٣- ومنهم من قال أوله الحجرات .

٤- والصحيح أن أوله ق - قال الماوردى فى تفسيره : حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة . وهو الذى يؤيده الحديث الذى رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد من حديث أوس بن حذيفة قال " قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك فى قبة له . قال مسدد - وكان فى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقيف - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة بعد العشاء يحدثنا - قال أبو سعيد : قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام وأكثر ما يحدثنا ما لقى من قومه من قريش - "ثم يقول " لاسواء كنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ، نُدال عليهم ويُدالون علينا " فما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت علينا الليلة ، قال " إنه طرأ علَى حزبى من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه " قال أوس : سألت أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، واحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده "[١] .

وعلى هذا فإذا جمعنا حزب الستة الأولى كان الحاصل ثمانيا وأربعين سورة ، فتكون التى بعدهن سورة ق .

وقد علمنا أنه نزل مفرقاً حسب الحاجة التى تقتضى ذلك ، ولا ريب أن ترتيب التلاوة غير ترتيب النزول ، ومما يستدل به على ذلك :

(١) حديث عائشة رضى الله عنها قالت : " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شىء (لا تشربوا الخمر) لقالوا لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإنى لجارية ألعب :(بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)[٢] . وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ... " الحديث[٣] .

(٢) وحديث ابن مسعود : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول وهن من تلادى "[٤] .

---

(١)أنظر البرهان ٢٤٤/١- ٢٤٧ ، وسنن ابى داود أبواب قراءة القرآن وتحزيبة وترتيله ٥٥/٢-٥٦ .

(٢) سورة القمر الآية ٤٦ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب فضائل القرآن . باب تأليف القرآن ٥١٤/١٠ من الفتح

(٤) أخرجة البخارى ٤١٦/١٠ من الفتح .

٣- وحديث البراء رضى الله عنه قال :"تعلمت (سبح اسم ربك الأعلى) قبل أن يَقْدَمَ النبى صلى الله عليه وسلم "[١]

فمن هذه الأحاديث يتبين لنا أن ترتيب المصحف على غير ترتيب النزول فحديث السيدة عائشة رضى الله عنها يفيد أن سورة القمر من أول ما نزل ، ومع ذلك فهى من أواخر المصحف فى الجزء السابع والعشرين وسورة البقرة والنساء مما نزل بالمدينة وهما فى أول المصحف .

وكذلك حديث ابن مسعود يفيد أن الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء متقدمات نزولا مع أنهن فى وسط المصحف .

وأما حديث البراء فنأخذ منه أن سورة (سبح اسم ربك الأعلى) مكية، وهى فى أواخر المصحف .

أيضاً فإن صدر سورة (اقرأ باسم ربك الذى خلق) أول ما نزل ، ومع ذلك فهى تقع فى الجزء الأخير من المصحف .

وهكذا بقية السور ، إذ نجد بعض السور المدنية متقدمة على المكية والعكس . وقد كان لهذا الترتيب شأن عجيب ، فقد اكتمل نزول الكتاب وصار دستورا لخير أمة . ترجع إليه فى عقائدها وفى استنباط الأحكام منه . ولا شك أن هذا يستدعى ترتيباً غير ترتيب النزول ، حيث روعى فيه أحوال القضايا التى نزل بشأنها القرآن وحال الداعى ، وحال المدعوين.

---

(١) أيضاً اخرجة البخارى ٤١٦/١٠ من الفتح .

وبالرغم من نزول القرآن الكريم منجماً في ثلاث وعشرين سنة إلا أننا نرى في ترتيبه معجزة المعجزات ، فكل سورة تمهد للسورة اللاحقة في تسلسل فكرى متصل أتم الإتصال ، وأن خاتمة كل سورة متناسبة تمام المناسبة لمفتتح السورة اللاحقة . وأقرب مثال لذلك خاتمة سورة الفيل وقوله تعالي : (فجعلهم كعصف مأكول) وفاتحة سورة قريش وقوله تعالى : (لإيلاف قريش إيلافهم) وما بينهما من مناسبة وترابط وتسلسل وبراعة ، تدل على فكرة واحدة ونسق مترابط .

فإذا تأملنا فاتحة سورة قريش نجدها شديدة الإتصال بخاتمة سورة الفيل ، وكأنهما سورة واحدة ، ولا سيما إن جعلت اللام للتعليل فى قوله تعالى : (لإيلاف قريش إيلافهم) ومتعلقة بقوله تعالى : (فجعلهم كعصف مأكول) .

فكأن سائلاً سأل : لماذا جعلهم هكذا ؟ فكانت الإجابة في مفتتح سورة قريش . والمعنى : أهلك سبحانه أصحاب الفيل ، ليبقى القرشيين على ما كانوا عليه من إيلافهم رحلة الشتاء والصيف .

المبحث الرابع
أسباب النزول

علمنا من دراستنا السابقة أن ترتيب القرآن فى المصحف ، ليس هو ترتيبه في النزول ، وأن آياته وسوره إنما نزلت مفرقة ، حسب الوقائع والأحوال والمناسبات .

وفي القرآن آيات اختصت بأنها نزلت عقب حادثة معينة وقعت واقتضى وقوعها نزول هذه الآيات ، وهذه الأمور التى ترتب على وقوعها نزول الآيات تسمى " أسباب النزول " وهى توجد بالنسبة لبعض الآيات دون بعض .

ولذلك قسم العلماء القرآن إلى قسمين :

أ- قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة - وهو كثير في القرآن الكريم .

ب- وقسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة - وهو ما نحن بصدده الآن .

وقد ألف فيه شيخ البخارى على بن المدينى ، والواحدى ، وابن حجر، والسيوطى فقد ألف فيه كتاباً حافلاً وسماه " لباب النقول فى أسباب النزول".

معنى سبب النزول :

هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه بمعنى أن حادثة وقعت زمن النبى صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات مبينة ما تتطلبه تلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال .

ومعنى (أيام وقوعه) الظروف التى ينزل القرآن فيها متحدثاً عن ذلك السبب ، سواء أوقع هذا النزول عقب سببه مباشرة - وذلك مثل حادثة خولة بنت ثعلبة التى ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت ، فنزلت بسببها آيات الظهار فى أول سورة المجادلة - أم تأخر عنه مدة لحكمة ، كما حدث ذلك حين سألت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين . فقال صلى الله عليه وسلم (غدا أخبركم) ولم يستثن (أى لم يقل إلا أن يشاء الله) فأبطأ عليه الوحى خمسة عشر يوماً على ما رواه ابن اسحاق ، وقيل ثلاثة أيام ، وقيل أربعين يوماً ، حتى شق عليه ذلك ثم نزلت أجوبة تلك المقترحات ، وفى طيها يرشد الله تعالى رسوله إلى أدب الإستثناء بالمشيئة ويقول له فى سورة الكهف :(ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً)(١) ، (٢) .

---

(١)(٢) سورة الكهف الآيتان ٢٣، ٢٤ انظر مناهل العرفان ١/٩٩-١٠١ بتصرف .

طريق معرفة سبب النزول

طريق معرفة سبب النزول ، هو النقل الصحيح عن الصحابة الذين عاصروا النزول ، ووقفوا على الواقع والملابسات التى أحاطت بنزول الآيات وسمعوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه غيرهم .
قال الواحدى :" ولا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب ، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلب وقد قال محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من القرآن ، فقال : اتق الله وقل سدادا ، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن " (١) .

وعلى هذا فإن روى سبب النزول عن صحابى فهو مقبول لأن قوله لا مجال فيه للرأى والإجتهاد ، ويبعد كل البعد أن يقوله من تلقاء نفسه ، وقد نبه الحاكم وابن الصلاح والسيوطى وغيرهم من أئمة علوم الحديث أن قول الصحابى فيما لا مجال فيه للإجتهاد والذى لم يعرف عنه الأخذ عن المصادر الإسرائيلية حكمه حكم المرفوع - وقول التابعى فى سبب النزول يقبل إذا عضد بمرسل آخر وكان الراوى له من أئمة التفسير الآخذين

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٤ .

عن الصحابة كمجاهد وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصرى وغيرهم[١] .

هذا ....

وتختلف العبارات الدالة على سبب النزول فبعضها نص فيه لا تقبل التأويل والإحتمال ، وبعضها غير صريح فى السببية ، بل يحتملها ويحتمل تفسير المعنى وما تضمنته الآية من الأحكام .

فمن الأول قولهم : سبب نزول الآية كذا ، مصرحاً بلفظ سبب النزول ، وقولهم حدث كذا فنزلت الآية ، أو سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن كذا ، فأنزل الله كذا ، بلفظ الفاء الدالة على الترتيب فتلك عبارات فى بيان السبب .

ومن الثانى قولهم : نزلت فى كذا ، فإن العبارة تحتمل السبب ، وتحتمل تفسير المعنى .

وطريق معرفة المراد من هذه العبارة هو القرائن ، فتارة تحمل على التفسير ، إن ذكر فيها معنى تدل عليه الآية ، وتارة تحمل على سبب النزول إن ذكر فيها شخص من الأشخاص ، أو حادثة من الحوادث ، فمثلاً قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة

---

(١) أنظر الإتقان ٨٩/١ ، وتدريب الراوى ص ٤٥ ، ٤٦

الدنيا)[١] فإنه إذا قيل : نزلت هذه الآية فى نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، مر بهم رجل من سليم ، وهو يسوق غنماً له ، فسلم عليهم فقالوا : ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، إذا قيل هذا حمل على أنه بيان لسبب نزولها ، وإذا قيل : نزلت في معاملة الناس ، حسبما يظهر منهم، حمل ذلك على المعنى والتفسير .

هل تتعدد الأسباب والنازل واحد ؟

إذا جاءت روايتان فى نازل واحد من القرآن ، وذكرت كل من الروايتين سبباً صريحاً غير ما تذكره الأخرى ، نظر فيهما:

١- فإما أن تكون احدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة فيؤخذ بالصحيحة .

٢- وإما أن تكون إحداهما أرجح من الأخرى فيؤخذ بالراجحة .

٣- وإما أن يكون كل منهما فى درجة واحدة من القوة ، فإن أمكن الجمع بين السببين لتقاربهما بحيث يصدق على كل منهما أن الآية نزلت عقبه فيجمع بينهما وكانت الآية أو الآيات منزلة على السببين .

٤- وإن لم يمكن الجمع بينهما لتباعد الزمان بين السببين أو

---

(١)سورة النساء الآية ٩٤ .

الأسباب حمل الأمر على تكرر النزول . فتلك أربع حالات :

وإليك بعض الأمثلة على تلك الحالات :

١- أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال " اشتكى النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) .

وأخرج الطبرانى وابن أبى شيبة عن حفصى بن ميسرة عن أمه عن أمها - وكانت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن جروا دخل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فدخل تحت السرير فمات ، فمكث النبى صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه ، فقال يا خولة : ما حدث فى بيت رسول الله ؟ جبريل لا يأتينى ، فقلت فى نفسى : لو هيأت البيت وكنسته ؟ فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت جروا فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته - وكان إذا نزل عليه الوحى أخذته الرعدة - فأنزل الله (والضحى ...) إلى قوله (فترضى) .

فالمعتمد هو الرواية الأولى - قال ابن حجر :"قصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب بل شاذ مردود بما فى الصحيح ، والله أعلم "[1].

٢- أخرج البخاري عن ابن مسعود قال " كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب ، فمر بنفر من اليهود ،

---

(١)فتح البارى ٣٣٩/١٠ .

فقال بعضهم : لو سألتموه ، فقالوا حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ، حتى صعد الوحى ، ثم قال " قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " [(١)] .

وأخرج الترمذى وصححه عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل ، فقالوا أسألوه عن الروح ، فسألوه فأنزل الله (ويسألونك عن الروح) الآية

فالأول يقتضى أن السائل اليهود وأن الآية مدنية ، والثانى يقتضى أن السائل الكفار وأن الآية مكية ، ورجح السبب الأول لأمرين : أن رواية البخارى أصح من رواية الترمذى وأن ابن مسعود كان حاضر القصة والمشاهدة لها قوة فى التحمل .

ولكن "الزركشى" ذكر هذا المثال فى فصل " فيما نزل مكرراً "[(٢)] فتكون هذه الآية قد نزلت مرتين : مرة بمكة ، ومرة بالمدينة ، واستند فى ذلك إلى أن سورة " الإسراء " مكية بالإتفاق .

وإنى أرى أن كون السورة مكية لا ينفى أن تكون آية منها أو أكثر مدنية ، وما أخرجه البخارى عن ابن مسعود يدل على أن هذه الآية (قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) مدنية ، فالوجه الذى اخترناه من ترجيح رواية ابن مسعود على رواية الترمذى عن ابن عباس

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٢) انظر البرهان ١/ ٣٠ .

أولى من حمل الآية على تعدد النزول وتكرره ، ولو صح أن الآية مكية وقد نزلت جوابا عن سؤال فإن تكرار السؤال نفسه بالمدينة لا يقتضي نزول الوحي بالجواب نفسه مرة أخرى ، بل يقتضى أن يجيب الرسول صلى الله عليه وسلم بالجواب الذى نزل عليه من قبل .

٣- أخرج البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء . فقال النبى صلى الله عليه وسلم " البينة أوحد فى ظهرك ، فقال : يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ؟! فأنزل عليه (والذين يرمون أزواجهم) حتى بلغ (ان كان من الصادقين)[1]".

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال " جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال : اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فيقتل به أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل ، فأخبر عاصم عويمرا ، فقال والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنه ، فأتاه فسأله فقال " إنه قد أنزل فيك وفى صاحبتك قرآن " الحديث .

فهاتان روايتان صحيحتان ، ويجمع بينهما بأن من وقع له ذلك هلال بن أمية ، ثم صادف مجيء عويمر أيضاً قبل الإجابة ، فأنزل الله تعالى آية اللعان فى شأنهما معاً . وإلى هذا ذهب الإمام النووى حيث قال : "يحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً ، فلعلهما سألا فى وقتين متقاربين

---

(١) سورة النور الآيات ٦-٩ .

فنزلت الآية فيهما)[١] ، وقال ابن حجر " لا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول "[٢] .

٤- أخرج البيهقى والبزار عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به فقال : لأمثلن بسبعين منهم مكانك ، فنزل جبريل والنبى واقف - بخواتيم سورة النحل (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ....) إلى آخر السورة .

وأخرج الترمذى والحاكم عن أبى بن كعب قال " لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة ، فمثلوا بهم ، فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله (وإن عاقبتم) الآيات .

والأولي تفيد أنها نزلت فى أحد والثانية تفيد أنها نزلت يوم الفتح ويجمع بينهما بأنها نزلت مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح - وفى هذا تذكير الله لعباده بما اشتملت عليه الآيات من الإرشاد والآداب العالية .

تعدد النازل والسبب واحد

قد يكون السبب واحداً ويتعدد المنزل عليه ، ولا بُعد فى ذلك ، فقد ينزل فى الواقعة الواحدة آيات عديدة فى أكثر من سورة تبياناً للحق وإرشاداً للسائل .

---

(١)شرح النووى على صحيح مسلم ١٠/ ١٢٠ .

(٢) فتح البارى ١٠/ ٦٦ .

مثاله : ما أخرجه الحاكم عن أم سلمة أنها قالت : قلت يا رسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء ، فأنزل الله (إن المسلمين والمسلمات)[١] الآية . وأنزلت (أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى)[٢] الآية .

وأخرج الترمذى والحاكم عنها أيضاً قالت " يا رسول الله لا سمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء" فأنزل الله (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) الآية[٣].

فوائد معرفة سبب النزول

لمعرفة سبب النزول فوائد منها :

١- الفائدة الأولى :

الإستعانة بالسبب على فهم الآية وإزالة الإشكال عنها ، ففى القرآن آيات كثيرة لا يتبين المقصود منها إلا إذا علمت الأسباب التى نزلت عليها ، ولو جهل السبب لوقع الخطأ فى فهمها .

قال الواحدى :"لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها ". وقال ابن دقيق العيد :" بيان سبب النزول طريق قوي فى فهم معانى القرآن " . وقال ابن تيمية :" معرفة سبب النزول يعين على فهم

---

(١)سورة الأحزاب الآية ٣٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٥ .

(٣) انظر هذه الروايات فى الإتقان ٩٧/١ . .

الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب "[١] .

ولنذكر لذلك خمسة أمثله يتبين من كل منها الخطأ الذى وقع عند الجهل بالسبب ، والصواب الذى ظهر عند العلم به .

المثال الأول :

قال الله تعالي فى سورة البقرة (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله)[٢] فهذا النص الكريم يدل بظاهره على أن المصلى يتوجه حيثما شاء ، ولا يجب عليه استقبال القبلة لا فى سفر ولا حضر . ولكن بمعرفة سبب نزوله يتبين المراد منه : فقد نزل للرد علي اليهود حين اتخذوا من تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة مطعنا يوجهونه إلى المسلمين .

أخرج ابن جرير[٣] بسنده عن ابن عباس قال : كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم عليه السلام فكان يدعو وينظر إلى السماء فأنزل الله تبارك وتعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) إلى قوله (فولوا وجوهكم شطره) فارتاب من

---

(١)الإتقان ٨٣/١ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١٥ .

(٣) فى تفسيره ٣٩٩/١ .

ذلك اليهودوقالوا ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فأنزل الله عز وجل (قل لله المشرق والمغرب) وقال (أينما تولوا فثم وجه الله)

المثال الثانى :

قوله تعالى :(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما)[١] فقد فهم عروة بن الزبير رضى الله عنهما أن الآية لما نفت الجناح، ونفى الجناح لا يستعمل فى لدلالة على وجود الشيء وافتراضه على المكلف . فهم من الآية عدم فرضية السعى بين الصفا والمروة . حتى سأل خالته السيدة عائشة رضى الله عنها ، فأفهمته أن نفى الحرج لإزالة ما وقر فى أذهان المسلمين يومئذ من أن السعى من عمل الجاهلية . فقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أنه كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له أساف ، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة زعم أهل الكتاب أنهما زنيا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فوضعا علي الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالي فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا الوثنين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية [٢].

روى البخارى بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : قلت

---

(١)سورة البقرة الآية ١٤٢ .

(٢) روح المعانى للألوسى ٢٥/٢ .

لعائشة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حديث السن : أرأيت قول الله تبارك وتعالى - إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما - فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما ، فقالت عائشة : كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، إنما أنزلت هذه الأية فى الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قُديد ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله - إن الصفا والمروة ... الآية [(١)].

وقد جاءت فى سبب النزول روايات عدة - ويجمع بينهما بأن الآية نزلت عقب تأثم الجميع ، فالمقصود منها إزالة ما كان فى نفوسهم من الحرج لا نفى الوجوب .

المثال الثالث :

أشكل على مروان بن الحكم قوله تعالى : (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم)[(٢)] روى البخارى[(٣)] بسنده : أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرىء فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون فقال بن عباس:

---

(١)أخرجة البخارى في صحيحه كتاب التفسير ٢٤٢/٩ من الفتح .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٨ .

(٣) فى صحيحه كتاب التفسير ٣٠١/٩-٣٠٣ من الفتح .

مالكم ولهذه ؟ إنما دعا النبى صلى الله عليه وسلم يهوداً فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم . ثم قرأ ابن عباس - (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) كذلك حتى قوله (يفرحون بما أتو ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) .

فقد بين ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى هؤلاء اليهود لإرتكابهم الكذب وفرحهم به ، فلا تتناول من يفرح بما أتى من خير وإنما تتناول من يفرح بفعل الشر كما وقع من اليهود ، وبذلك تكون عامة فى كل من يفعل الشر ويوهم فعل الخير ويفرح بذلك .

وعلى كل فإن منشأ الإشكال على مروان : هو الجهل بسبب نزول الآية إذ أن هذا جعله يفهم أن الآية وعيد بالعذاب لمن فرح بما أتى من خير وأحب أن يحمد على ما لم يفعل من الخير ، مع أن سببها يبين أنها وعيد لمن فرح بما أتي من شر وإثم وأحب أن يحمد على مالم يفعل من الخير .

المثال الرابع :

عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معدى يكرب أنهما كانا يقولان الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ...)[1] الآية ولو علما سبب نزولهما لم

(١) سورة المائدة الآية ٩٣ .

يقولا ذلك ، وهو أن ناساً قالوا لما حرمت الخمر : كيف بمن قتلوا فى سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهى رجس ؟ فنزلت [١] .

المثال الخامس :

قوله تعالى :(واللاتى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر ..)[٢] فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآيسة لاعدة عليها إذا لم ترتب . وقد بين ذلك سبب النزول ، وهو أنه لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة عدد النساء ، قالوا : قد بقى عدد من عدد النساء لم يذكرن : الصغار والكبار ، فنزلت ، فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن فى العدة ، وارتاب : هل عليهن عدة أو لا ؟ وهل عدتهن كاللاتى فى سورة البقرة أو لا ؟ فمعنى " إن ارتبتم " إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدون ، فهذا حكمهن[٣] .

٣-الفائدة الثانية :

من فوائد معرفة سبب النزول : أنه يعين على معرفة الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، فإن السبب يبين الظروف التى شرع فيها هذا الحكم ويبين أنه حقق بالفعل مصلحة فى ذلك الوقت كان الناس فى حاجة اليها. كالآيات التى نزلت فى المواريث على حوادث من ظلم الجاهلية

---

(١)انظر الإتقان ٨٣/١ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٤ .

(٣) الإتقان ٨٣/١-٨٤ .

الذين كانوا لا يورثون البنات ولا الصغار وكالآيات التى نزلت فى تحريم الخمر من سورة المائدة فإنها نزلت لما شربوا الخمر وظهرت آثارها السيئة على عقولهم حتى ضرب بعضهم البعض ونشأ عن ذلك الضغائن .. إلى غير ذلك من الآيات . ومعرفة الحكمة فيها نفع للمؤمن وغير المؤمن - أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه نظراً لما يتكشف له من المصالح والمزايا التى نيطت بهذه الأحكام ويوقن بجلال التشريع وسمو مقاصده . وأما الكافر فيرغب فى الإيمان ، وتكون معرفته الأسباب سبيلاً إليه لما يظهر له من جلال التشريع وسمو مقاصده .

٣-الفائدة الثالثة :

معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا تحمل على غيره بدافع الخصومة والتحامل . كالذى ذكر فى قوله تعالى (والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين)[1] فقد أراد "معاوية" أن يستخلف ابنه يزيد فكتب إلى مروان - أمير المدينة من قبل معاوية - بذلك فجمع مروان الناس فخطبهم ودعاهم إلى بيعة "يزيد" فأبى عبد الرحمن بن أبى بكر أن يبايع واعتبر ذلك مخالفاً لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فأراده " مروان" بسوء لولا أن دخل بيت عائشة ، وقال مروان : إن هذا الذى أنزل الله فيه

---

(١)سورة الأحقاف الآية ١٧ .

(والذى قال لوالديه أف لكما اتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى) فردت عليه عائشة وبينت له سبب نزولها .

روى البخارى بسنده عن يوسف بن ماهك قال : كان مروان على الحجاز ، استعمله معاوية بن أبى سفيان فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له بعد أبيه . فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر شيئاً . فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه ، فقال مروان : إن هذا الذى أنزل الله فيه – والذى قال لوالديه أف لكما اتعداننى – فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذرى [١] .

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى : (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك)[٢] فإن هذا المنعم عليه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

٤- الفائدة الرابعة :

دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر : نحو قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو نسقا أهل لغير الله به)[٣] الآية . قال الإمام الشافعى : إن الكفار لما حرموا ما أحل الله ،

---

(١)اخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب التفسير ١٠/١٩٨ من الفتح .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

(٣)سورة الأنعام الآية ١٤٥ .

وأحلوا ما حرم الله ، وكانوا على المضادة والمحادة جاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرمتموه ، ولا حرام إلا ما أحللتموه، نازلا منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ، فتقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ، والغرض المضادة لا النفى والإثبات على الحقيقة ، فكأنه قال : لا حرام إلا ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ولم يقصد حل ما وراءه ، إذ القصد اثبات التحريم لا إثبات الحل .

قال إمام الحرمين : "وهذا فى غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعى إلى ذلك لما كان نستجيز مخالفة مالك فى حصر المحرمات فيما ذكرته الآية أهـ [١] .

٥- الفائدة الخامسة :

تيسير الحفظ والفهم للآية ، وتثبيت الوحى فى ذهن كل من يسمعها إذا عرف سببها ، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والأشخاص بالأزمنة والأمكنة ، من دواعى تقرر الأشياء وتسهيل استحضارها .

٦- الفائدة السادسة :

تخصيص الحكم بالسبب ، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب

---

(١)انظر البرهان ١/٢٣- ٢٤ .

لا بعموم اللفظ . فآيات الظهار فى مفتتح سورة المجادلة - وقد تقدم سببها أن أوس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت حكيم بن ثعلبة ، والحكم الذى تضمنته هذه الآيات خاص بهما وحدهما (على هذا الرأي) ، أما غيرهما فيعلم بدليل آخر قياساً أو سواه ويدهى أنه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه إلا إذا علم السبب . وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة[١] .

الفائدة السابعة :

إذا كان لفظ ما نزل عاماً وورد دليل على تخصيصه فمعرفة السبب تقصر التخصيص على ما عدا صورته ، ولا يصح إخراجها ، لأن دخول صورة السبب فى اللفظ العام القطعى ، فلا يجوز إخراجها بالإجتهاد لأنه ظنى ، وهذا هو ما عليه الجمهور ، وقد يمثل لهذا بقوله تعالى :(إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنُيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجهلم بما كانو يعملون ، يومئذيوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين)[٢] قيل : هذه الآية نزلت فى السيدة عائشة رضى الله عنها خاصة عن سعيد بن جبير قال : هى فى رماة عائشة رضوان الله عليها خاصة[٣] .وأخرج الطبرى بسند عن شيخ من بنى أسد قال : فسر ابن

---

(١) مناهل العرفان /١٠٥ -١٠٦ .

(٢)سورة النور الآيات ٢٣ - ٢٥ .

(٣) انظر تفسير القرطبى ١٣٩/١٢ .

عباس سورة النور فلما أتى على هذه الآية (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ... الآية) قال : هذا فى شأن عائشة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم وهى مبهمة وليست لهم توبة . ثم قرأ (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء)إلى قوله (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا .. الآية)[١] قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة . قال : فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور [٢] .

وعلى هذا فإن قبول توبة القاذف وإن كان مخصصا لعموم قوله تعالى (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات) لا يتناول بالتخصيص من قذف عائشة ، أو قذف سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا لا توبة له ، لأن دخول صورة السبب فى اللفظ العام قطعى [٣]

قال السيوطى :" دخول صورة السبب قطعى وإخراجها بالإجتهاد ممنوع ، كما حكى الإجماع عليه القاضى أبو بكر فى التقريب ، ولا التفات إلى من شذ فجوز ذلك "[٤] .

---

(١) سورة النور الآيتان ٤ ،٥ .

(٢) راجع تفسير ابن جرير الطبرى ٨٣/١٨ ، ومختصر تفسير ابن كثير المجلد الثانى ص ٥٩٤ .

(٣)مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٨٠ .

(٤) الإتقان ٨٢/١ .

عموم اللفظ وخصوص السبب

عنى بهذا المبحث علماء الاصول ، لأن هدفهم الإستدلال بألفاظ الشارع على الاحكام ، وهو أيضاً من مهام المشتغل بالقرآن للوصول إلى فهم المعنى المراد ، وما يدخل تحته من أفراد ، لأن اللفظ إما عام وإما خاص .

١- فإن كان السبب عاماً واللفظ عاما فلا إشكال حيث يثبت الحكم العام لكل أفراد السبب العام ثبوتاً نصيا باتفاق ، نظرا للتساوى بين اللفظ والسبب عموما . مثاله قوله تعالى :(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) [١] عن أنس رضي الله عنه " أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم النبى صلي الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن المحيض ...) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اصنعوا كل شىء إلا النكاح "[٢] .

٢- وإن كان السبب خاصا واللفظ خاصا ثبت الحكم الخاص للفرد الخاص الذى كان سببا ، نظراً للتساوى بين اللفظ والسبب خصوصاً ،

---

(١)سورة البقرة الآية ٢٢٢ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الحيض ٢١١/٣ شرح النووى .

بلا خلاف بين العلماء . مثاله قوله تعالى .(وسيجنبها الأتقى، الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) [١] فقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع على ذلك [٢] وأخرج ابن أبى حاتم عن عروة أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله ، وفيه نزلت (وسيجنبها الأتقى الى آخر السورة)[٣] .

٣- أما إذا كان السبب خاصا واللفظ عاماً فقد اختلف الاصوليون أتكون العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب ؟

أ - فذهب الجمهور إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالحكم الذى يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرهم كآيات اللعان التى نزلت فى قذف هلال بن أمية زوجته . أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال " لما قذف هلال بن أمية امرأته قيل له والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال الله أعدل من ذلك أن يضربنى ضربة وقد علم أني قد رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى استثبت لا والله لا يضربنى أبدا فنزلت آية الملاعنة (والذين يرمون أزواجهم) حتى بلغ(إن كان من الصادقين)[٤] فدعا بهما

---

(١)سورة الليل الآيات ١٧ -٢١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ص ٦٤٨ .

(٣) لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص ٢٣٠ .

(٤) سورة النور الآيات ٦ - ٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية فقال الله يعلم أن أحدكما كاذب نهل منكما تائب ؟ فقال هلال والله إنى لصادق فقال له احلف بالله الذى لا إله إلا هو إنى لصادق يقول ذلك أربع مرات فإن كنت كاذباً فعلىَّ لعنة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوه عند الخامسة فإنها موجبة فحلف ثم قالت أربعا والله الذى لا إله إلا هو إنه لمن الكاذبين فإن كان صادقاً فعليها غضب الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوها عند الخامسة فإنها موجبة فترددت وهمت بالإعتراف"[1] .. فيتناول الحكم المأخوذ من هذا اللفظ العام (والذين يرمون أزواجهم) غير حادثة هلال دون احتياج إلى دليل آخر .

وهذا هو الرأي الراجح والأصح ، وهو الذى يتفق مع عموم أحكام الشريعة والذى سار عليه الصحابة والمجتهدون من هذه الأمة فعدوا بحكم الآيات إلى غير سورة سببها . كنزول آية الظهار فى أوس بن الصامت ، أو سلمة بن صخر - على اختلاف الروايات فى ذلك ، والإحتجاج بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائع لدى أهل العلم .

قال ابن تيمية :"قد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم : هذه الآية نزلت فى كذا ، لا سيما إن كان المذكور شخصاً ، كقولهم : إن آية الظهار نزلت فى امرأة أوس بن الصامت ، وإن آية الكلالة نزلت فى جابر بن عبد الله ، وإن قوله (وأن احكم بينهم)[2] نزلت فى بنى قريظة

---

(١)انظر تفسير الطبرى ٦٦/١٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٩ .

والنضير ، ونظائر ذلك مما يذكرون أنه نزل فى قوم من المشركين بمكة أو فى قوم من اليهود والنصارى ، أو فى قوم من المؤمنين . فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق ، والناس وإن تنازعوا فى اللفظ العام الوارد على سبب : هل يختص بسببه ؟ فلم يقل أحد إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين ، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ . والآية التى لها سبب معين إن كانت أمراً أو نهياً فهى متناوله لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته ، وإن كانت خبرا يمدح أو يذم ، فهى متناوله لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته " أ هـ[١] .

ب- وذهب جماعة إلى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ ، فاللفظ العام دليل على صورة السبب الخاص ، ولا بد من دليل آخر لغيره من الصور كالقياس ونحوه ، حتى يبقى لنقل رواية السبب الخاص فائدة ، ويتطابق السبب والمسبب تطابق السؤال والجواب [٢] .

وأجيب عن هذا بأن لمعرفة أسباب النزول فوائد كثيرة غير اعتبار خصوص السبب ، كالاستعانة على فهم المعنى ، ومعرفة حكمة التشريع، وغير ذلك ، مما هو مذكور فى هذا المبحث .

---

(١)انظر الإتقان ٨٦/١ ، ٨٧ .

(٢) مناهل العرفان ١١٨/١ بتصرف .

كما أجيب بأن الممنوع بلاغة أن يقصر الجواب عن السؤال ، أما أن يكون الجواب عاماً شاملاً للسبب وغيره ، فإنه لا يخل بأعلى مراتب البلاغة إذ يحصل التطابق بذكر حكم الخاص ؛ ولا يضر بيان حكم غيره ممن يشبهه ، بل فى ذلك فائدة زائدة ترفع من قيمة الكلام ، وحكمة منزله جل وعلا .

وحيث قد بطل دليل غير الجمهور وسلمت أدلته صار الحكم له والإعتماد عليه .

المبحث الخامس
المكي والمدني

هذا المبحث من المباحث المهمة التى يحتاج اليها دارسى القرآن الكريم ، وقد أفرده بالتأليف مكى والعز الدرينى وغيرهما . والمشهور بين العلماء تقسيم القرآن إلى هذين القسمين فقط ، وإن كان بعض السور المكية توجد فيها آيات مدنية وبعض السور المدنية توجد فيها آيات مكية ، ولكن العبرة بالغالب ، بدليل أنهم قسموا القرآن إلى هذين القسمين فقط .

تعريف المكي والمدني :

للعلماء فى معنى المكى والمدنى ثلاثة إصطلاحات :

(الأول) أن المكى ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدنى مانزل بالمدينة . ويدخل فى مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية ، ويدخل فى المدينة ضواحيها كبدر وأحد - وهذا التعريف لوحظ فيه مكان النزول .

ويرد على هذا التعريف أنه غير ضابط ولا حاصر ، لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما ، كقوله تعالى :(لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك) [١] فإنها نزلت بتبوك ، وقوله سبحانه :(وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ...) [٢] فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٢ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٤٥ .

الإسراء ، وذلك عيب يخل بالمقصود الأول من التقسيم وهو الضبط والحصر .

(الإصلاح الثانى) أن المكى ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدنى ما وقع خطاباً لأهل المدينة وعليه يحمل قول ابن مسعود " كل شيء نزل فيه (ياأيها الناس) فهو مكى ، وكل شيء نزل فيه(ياأيها الذين آمنوا) فهو مدنى وذلك لأن أهل مكة يغلب عليهم الكفر ، فخوطبوا بيا أيها الناس ، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم . ولأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة ، فخوطبوا بيا أيها الذين آمنوا ، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم أيضاً "(١)

وهذا التعريف لوحظ فيه المخاطبون ، ولكن يرد عليه أمران : ما ورد على سابقه من أنه غير ضابط ولا حاصر ، فإن فى القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما نحو قوله تعالى (يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين)(٢) . كما يلاحظ أن أكثر سور القرآن لم تفتتح بأحد الخطابين .

ثانيهما : أن هذا التقسيم غير مطرد فسورة البقرة مدنية ، وفيها (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٣) وقوله تعالى (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)(٤) .

---

(١)انظر البرهان ١٨٧/١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ١ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢١ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٦٨ .

وسورة النساء مدنية وأولها (يا أيها الناس) وسورة الحج مكية ، وفيها (يا أيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) [١] . كما أن القرآن الكريم هو خطاب الله للخلق أجمعين ، ويجوز أن يخاطب المؤمنون بصفتهم وبإسمهم وجنسهم ، كما يجوز أن يؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمن بالإستمرار عليها والزيادة منها .

(الإصطلاح الثالث) وهو المشهور : أن المكى ما نزل قبل الهجرة ، والمدنى ما نزل بعد الهجرة ، سواء نزل بمكة أم بالمدينة ، أم بسفر من الأسفار - أخرج عثمان بن سعد الرازى بسنده إلى يحيى بن سلام ، قال: ما نزل بمكة وما نزل فى طريق المدينة قبل أن يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكى ، وما نزل على النبى صلي الله عليه وسلم فى أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدنى [٢] .

وهذا الإصطلاح لوحظ فيه الزمان ، وهو تقسيم صحيح ، لأنه ضابط ومطرد . وعليه فآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا)[٣] مدنية وإن كانت نازلة فى يوم عرفة عام حجة الوداع. وآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)[٤] مدنية مع أنها نزلت فى جوف الكعبة عام الفتح .

---

(١) سورة الحج الآية ٧٧ .

(٢) انظر الإتقان ١/٢٣ .

(٣) سورة المائدة الآية ٣ .

(٤) سورة النساء الآية ٥٨ .

فوائد معرفة المكى والمدنى :

١- عناية المسلمين بالبحث عن المكى والمدنى من القرآن - مع ما فيه من جهد ومشقة - دليل على سلامة القرآن من التحريف والتغيير ، فإن الأمة قد عنيت بالكتاب وتناقلته خلفاً عن سلف ، حتى ليعرفون ما نزل منه صيفا أو شتاء ، سفرا أو حضرا ، نهارا أو ليلا ، بالأرض أو بالسماء وما نزل منه قبل الهجرة أو بعدها ... إلى غير ذلك ، فلا يعقل بعد هذا أن تمس قدسيته بأدنى شىء أو يغفل عنه حتى يعبث به عابث .

٢- تمييز الناسخ من المنسوخ ، فيما إذا وردت آيتان أو أكثر فى موضوع واحد ، وكان الحكم فى إحدى هاتين الآيتين أو الأيات مخالفاً للحكم فى غيرها ، فإننا نحكم بأن المدنى منها ناسخ للمكى نظراً إلى تأخر المدنى عن المكى .

٣- معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سنة الله فى التدرج بالأمة من الأصول إلى الفروع ومن الأخف إلى الأثقل ، وهذا يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية فى تربية الفرد والجماعة ، فإن لكل مقام مقالا ، ولكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها ، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم ، ويبدو هذا واضحا جليا بأساليب القرآن المختلفة فى مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب .

طريق معرفة المكى والمدنى :

لا طريق لمعرفة المكى والمدنى سوى النقل الصحيح عن الصحابة

الذين شاهدوا عصر الوحي والتنزيل ، وعن التابعين الآخذين عنهم .

ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في بيان المكى والمدني، لأن الصحابة كانوا يعرفون ذلك بأنفسهم ، فلم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان - قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه " والذى لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت وما من آية إلا أنا أعلم فيما نزلت ولو أعلم أحدا هو أعلم بكتاب الله منى تبلغه الإبل لركبت إليه "(١) .

ضوابط ومميزات كل من المكي والمدني :

استقرأ العلماء السور المكية والمدنية ، واستنبطوا ضوابط قياسية لكل من المكي والمدنى ، تبين خصائص الأسلوب والموضوعات التى يتناولها . وخرجوا من ذلك بقواعد ومميزات .

ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية :

أولاً الضوابط :

١- كل سورة فيها سجدة فهى مكية .

٢- كل سورة فيها لفظ (كلا) فهى مكية ، ولم ترد إلافى النصف الأخير من القرآن . وذكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة .

---

(١)أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب فضائل الصحابة ١٦/ ١٧ شرح النووى .

٣- كل سورة فيها (يا أيها الناس) وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهى مكية، إلا سورة الحج ففى أواخرها (يا أيها الذين آمنوا أركعوا و اسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[١] ومع هذا فإن كثيرا من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك .

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهى مكية سوى سورة البقرة .

٥- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهى مكية سوي سورة البقرة كذلك .

٦- كل سورة تفتتح بحروف التهجى كـ "ألم" و "الر" و "حم" ونحو ذلك فهى مكية سوى الزهراوين : وهما البقرة وآل عمران ، واختلفوا فى سورة الرعد .

هذا من ناحية الضوابط ، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي :

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، وإثبات الرسالة وإثبات البعث والجزاء ، وذكر القيامة وهولها ، والنار وعذابها ، والجنة ونعيمها ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية ، والآيات الكونية .

وقد كان العرب أهل وثنية وإشراك ، ولذلك عجبوا لما جاءهم بالتوحيد وقالوا " أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب " وكان من عقائدهم أن الملائكة بنات الله ، وإنكار أن يكون لله رسل من

---

(١) سورة الحج الآية ٧٧ .

البشر، وإنكار البعث والحساب - فجاء القرآن بهدم هذه العقائد الفاسدة: مرة بتحكيم العقل وإقامة الأدلة على بطلان مدعاهم ، وأخرى بطريق المشاهدة والنظر في الكون بما فيه من دقة النظام واستمراره على سنة ثابتة لا تتغير .

٢- القضاء على ما كان عندهم من عادات فاسدة ، كسفك الدماء ووأد البنات ، وتحريم أشياء على أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان ، فلفت أنظارهم على ما فيها من خطر ، ومازال بهم حتى طهرهم منها .

٣- ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الإنتصار عليهم ، ولقد كان إيراد القصص فى العهد المكى من أبلغ ومن أعظم الأدلة على أن القرآن بوحى من الله تعالى ، ولو تأخر إلى العهد المدنى لقال الكفار تعلمه من أهل الكتاب .

٤- ولقد كثر فى هذا القسم تهديد المعاندين ، لكثرة ما كان منهم من إيذاء المؤمنين ، وتمردهم على الدين ، ومحاولتهم هدمه بكل ما أوتوا من سلطان فلا جرم أن كانوا جديرين بأشد الوعيد وأبلغ التهديد .

٥- ومن خواص هذا القسم قصر معظم آياته وسوره، لأنه المناسب لأهل مكة ، حيث كانوا أهل فصاحة ولسن ، صناعتهم البيان والإيجاز ، ثم إن بعضهم كانوا يتفننون فى طرق إيذاء النبى صلي الله عليه وسلم ومن آمن معه ، فكان معظم هذا القسم فى الزجر والوعظ ، وذلك يستدعى العبارات الموجزة ذات الجرس القوى والمعنى الذى يستولي

على مشاعرهم ويهز كيانهم ، إذ أن هذا هو الملائم لحالهم ، أو كما قال البلاغيون : البلاغة هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

ضوابط المدنى ومميزاته الموضوعية :

أولا : الضوابط :

١- كل سورة فيها فريضة أوحد فهى مدنية - والمراد بالفريضة هنا فريضة الميراث ، لا مطلق فريضة ، وإلا ففى المكى فرائض كثيرة كالصلاة والعدل والتواصى بالحق والتواصى بالصبر والوفاء بالعهد وغيرها ، وقد اشتهرت أحكام الميراث باسم الفرائض ، حتى قال صلى الله عليه وسلم - كما رواه الإمام احمد باسناد صحيح" أفرضكم زيد " .

٢- كل سورة فيها ذكر الجهاد ، من الإذن فيه وبيان أحكامه فهى مدنية . وكذا ما يتعلق به كالمعاهدات .

٣- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهى مدنية ما عدا سورة العنكبوت- والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الأولى منها وهى إحدى عشرة ، فإنها مدنية ، وهى التى ذكر فيها المنافقون .

٤- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهى مدنية .

ثانيا : المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب :

١- بيان الأحكام بالتفصيل والتنويع ، بياناً مطولاً يتناول دقائقها ويشمل ضروب العبادات ، والمعاملات ، والحدود ، ونظام الأسرة

والمواريث ، وفضيلة الجهاد، والصلات الإجتماعية ، والعلاقات الدولية في السلم والحرب ، فإن المسلمين قد استقروا في المدينة ويحتاجون إلى قوانين تنظم حياتهم وإلى أسس قائمة على الحكمة والمصلحة والمساواة ، وقد أصبح للإسلام من القوة ما هو كفيل بتنفيذ ما يشرع من الأحكام . فمن ثم جاءت السور المدنية بالتشريعات الكثيرة المتنوعة .

٢- الكشف عن سلوك المنافقين ومكايدهم للإسلام والمسلمين ، وبيان خطرهم على الدين . فأخبر المسلمين عنهم وعن علاقاتهم وما يضمرونه لهم ، وأنهم إذا حضروا موقعة فلأجل الغنيمة ، وإذا فاتهم أن يشاركوا المسلمين فيما غنموه لتخلفهم عن الجهاد حزنوا لما فاتهم من المتاع القليل .

٣- دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصاري إلى الإسلام ، وبيان تحريفهم لكتب الله ، وتجنيهم على الحق .

٤- سلوك الإطناب والتطويل في أكثر آياته وسوره ، فإنه اشتمل على الأغراض السابقة وهي تستدعي الشرح والبسط ، ثم إن أهل المدينة لم يكونوا في درجة أهل مكة فصاحة وبياناً ، فكان الحال مقتضيا الإطناب ، وهذا هو دستور البلاغة : يخاطب كلا حسب مقداره من الذكاء أو غيره .

بعض الشبه التي أثيرت حول المكي والمدني

وجه المستشرقون والمبشرون ومن ينتسبون إلى الإسلام بعض المطاعن فى القرآن ، وغرضهم من ذلك التشكيك فى قداسة القرآن ، وقداسة ألفاظه ، ولكن الله من ورائهم محيط " بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ " .

وقد قيض الله للدفاع عن كتابه العلماء الأجلاء ، الذين وقفوا على أسراره وتذوقوا بلاغته وسحره .

وإليك بعض هذه الشبه الواردة على مكى القرآن ومدنيه والرد عليها .

الشبهة الأولى

يقولون : إن الفاحص الناقد للمكى والمدني يلاحظ أن فى القرآن أسلوبين متعارضين .

فالأسلوب المكى ملىء بالشدة والعنف ، والقسوة والحدة ، والغضب والسباب ، والوعيد والتهديد ، فنرى القسم المكى منه يتصف بأسلوب الأوساط البدائية المنحطة ، ففيه مثلاً (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين. ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)[١] .

---

(١)سورة التكاثر الآيات من ٣ - ٨ .

وفيه (تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغني عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد)[١] وفيه (والعصر إن الإنسان لفى خسر)[٢] وفيه (فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد)[٣] .

بخلاف القسم المدنى فهو متسم باللين ، والموعظة الهادئة وأسلوب الأوساط المتحضرة ، ففيه (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم)[٤] وفيه (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب)[٥] وفيه (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)[٦] إلى غير ذلك من الآيات .

وغرضهم من هذه الشبهة الإيحاء بأن القرآن من أسلوب محمد الذى تأثر أولا بأهل مكة فكان كلامه خشناً بعيداً عن المعارف العالية التى اكتسبها من أهل الكتاب فى المدينة وهذه الشبهة ساقطة من وجوه :

---

(١)سورة المسد الآيات من ١-٥ .

(٢) سورة العصر الآيتان ١ ، ٢ .

(٣) سورة الفجر الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(٤) سرة آل عمران الآية ٦٤ .

(٥) سورة البقرة الآية ٤٤ .

(٦) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

الأول : أن القسم المكي لم ينفرد بالعنف ، ففى القسم المدنى كثير من الشدة والوعيد كذلك . ففيه قوله تعالي في سورة البقرة وهى مدنية:(فإن لم تفعلوا ولن تفعلو فاتقوا النار التى وقودها النار والحجارة أعدت للكافرين) وقال فيها أيضاً (إن الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)وقال فيها أيضاً :(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) .

الثانى " أن القسم المدنى لم ينفرد بالسماحة واللين ، ففى المكى آيات كريمة تفيض لينا وصفحاً ، بل تنادى بأن تقابل السيئة بالحسنة ، كما في قوله سبحانه فى سورة فصلت المكية : (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) . وقوله جلت قدرته فى سورة الزمر المكية : (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم) .

الثالث : إن سلمنا غلبة أسلوب الشدة فى المكى ، وأسلوب اللين فى المدنى فإن هذا الإختلاف غير راجع إلى محمد ، وتأثره بالبيئة ، وإنما مرجعه الحقيقى وأساسه الذى لا شك فيه ، هو اختلاف حال المخاطبين ، فأهل مكة غلاظ الطبع ، قساة القلب ، قليلوا المعارف ، جلبوا على الخشونه والجفوة ، وأهل المدينة أهل علوم ومعارف ، ورقة وإحساس

فهل من الحكمة أن يتفق الأسلوب مع اختلاف حال المخاطبين ؟ وهل من البلاغة عدم مراعاة مقتضى الحال ؟ فإن الحكيم الذى أنزل القرآن عليم بما يصلح لكل من المخاطبين من أسلوب .

الشبهة الثانية

يقولون : إن قصر الآيات والسور المكية ، وطول الآيات والسور المدنية دليل على أن القرآن تأثر بالبيئة .

فلما كان محمد أميا مبتدئاً بين أميين جاءت سور المكى وآياته قصيرة ، ولما وجد فى المدينة بين مثقفين مستنيرين ، جاءت سور المدنى وآياته طويلة ، وغرضهم من هذه الشبهة التشكيك فى أن القرآن من عند الله .

وننقض شبهتهم هذه بما يأتى :

أولا : أن القسم المكي لم ينفرد بقصار السور ، ولا بقصر الآيات ، بل فى القسم المدنى سور وآيات قصيرة ، كقوله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وهى من أخريات ما نزل من القرآن .

ثانياً : أن القسم المدنى لم ينفرد بطوال السور ولا بطول الآيات ، ففى القسم المكى سور وآيات طوال كسورة الأنعام وآياتها .

ثالثاً : سلمنا غلبة القصر على المكى والطول على المدنى لكن هذا

الإختلاف إنما يرجع إلى حال المخاطبين وما يليق بهم من أساليب الخطاب ، فأهل مكة كانوا فى ذروة الفصاحة والبلاغة ، فناسبهم الإيجاز فى العبارة ، والإختصار فى الأسلوب ، وأهل المدينة رغم معارفهم وعلومهم ، وحضارتهم ورقيهم ، لم يكونوا فى درجة القرشيين فى ميدان البيان .

الشبهة الثالثة

قالوا : إن القسم المكى يكثر فيه القسم بالمخلوقات نحو : الفجر والضحى والعصر والليل والشمس والقمر والنجم والتين والزيتون ، وما شاكل ذلك مما يناسب البيئة الساذجة لأن أهل مكة كانوا أميين لا تعدو مداركهم حدود الحسيات ، وأما القسم المدنى فقد خلا منه . وما ذلك إلا لأنه تأثر بالمجتمع فى كلا البلدين فالقرآن من صنع بشرى وليس من عند الله .

وهذه الشبهة باطلة ومردودة .

أولاً : أن ادعائهم بأن مدارك أهل مكة لا تعدو حدود الحسيات إدعاء باطل ، فالتاريخ خير شاهد بامتياز قريش على سائر القبائل . فقد كانوا أهل ذوق وشعور مرهف ، وأعظم ذكاء من أهل المدينة ، وأن الخطاب معهم كان ملحوظاً فيه إشتماله على أسرار وخصائص لا يدركها إلا المتفوقون فى صناعة البيان .

ثانيا: إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى ما ألفوه فى

مخاطباتهم ، ليكون مفهوما لديهم ومحببا إلى نفوسهم ، ومن أساليبهم القسم ، وكانوا يقدسونه ولا يحلفون إلا صادقين كذلك كانت العرب تقدس هذه المخلوقات وتقسم بها ، فنزل القرآن بما يعرفونه .

كما شاع القسم فى القسم المكى بهذه الأشياء السابقة لأن الذى يناسب حال الناس فى ذلك العهد ، وذلك أن القرآن كان بصدد علاج أفحش العقائد فيهم ، وهى عقيدة الشرك ، ولا سبيل إلى استئصال هذه العقيدة ، وإقامة صرح التوحيد على أنقاضها ، إلا بلفت عقولهم إلى ما فى الكون من شئون الله وخلق الله ، ليصلوا من وراء ذلك إلى أن يؤمنوا بالله وحده ، ما دام هو الخالق وحده .

ثالثاً : أن القصد من القسم تحقيق الخبر وتوكيده . فهو من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء فى النفس وتقويه ، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة ، ووقف الناس منه مواقف متباينة ، فمنهم الشاك ، ومنهم المنكر ، ومنهم الخصم الألد فالقسم فى كلام الله يزيل الشكوك ، ويحبط الشبهات ، ويقيم الحجة ، ويؤكد الأخبار . وهذا عكس ما فهم المبطلون .

الشبهة الرابعة

قالوا : إن خلو القسم المكى من التشريع وشحن القسم المدنى بالأحكام دليل على تأثر القرآن بعلوم أهل المدينة ومعارفهم فلما كان محمد أميا بين أميين ضاق أفق التشريع ، ولما صار بين المثقفين

وأهل الكتاب بالمدينة كثرت الأحكام والفروع

وننقض شبهتهم هذه بما يأتى :

أولاً : أن القسم المكى لم يخل من التشريعات التفصيلية ، ففى سورة الانعام المكية وصايا عشر من أهم أحكام الشريعة الإسلامية ، يقول جل شأنه (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ، حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا تكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ، ولوكان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون).

ثانياً : أن من بلاغة القرآن مراعاة المقام لمقتضى الحال ، فقد كان المكيون ينكرون أصول الإيمان ويشركون مع الله غيره ويردون رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وينكرون البعث وما وراءه ، فكان الملائم دعوتهم إلي الأصول وإلى بعض التشريعات الإجمالية حتى إذا استقر الإيمان فى قلوبهم واستعدت جوارحم لتلقى تعليمات الوحى العملية التفصيلية نزل القرآن على هذا ...

ثالثاً : كيف يصح فى العقول أن يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم

القرآن عن أهل الكتاب وفيه ما يخالف شريعتهم ؟ إذ لو كان أحكامه مستمدة من أحكامهم لسايرت أحكامه أحكامهم ، أو لأثرت أحكامهم فى أهل المدينة المقيمين معهم منذ زمن بعيد قبل قدوم محمد صلى الله عليه وسلم إليهم . بل لو كان لهذه الفرية شائبة من الواقع ، لعايره أهل الكتاب بالأخذ عنهم والسرقة منهم حين سفه أحلامهم وخطأهم فى معتقداتهم .

كانت تلك بعض الشبهات التى أوردها الملحدون وأعداء الإسلام ، قصد النيل من كتاب رب العالمين (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)[1] .

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٢ .

المبحث السادس

جمع القرآن الكريم

يطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء أحد معنيين :

المعنى الأول : جمعه بمعنى حفظه ، وجُماع القرآن : حفاظه ، وهذا المعنى هو الذى ورد فى قوله تعالى فى خطابه لنبيه عليه الصلاة والسلام ، وقد كان يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي حرصاً على أن يحفظه : (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إنا علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)(١) .

المعنى الثانى : جمع القرآن بمعنى كتابته كله حروفاً وكلمات وآيات وسوراً ، وإذا أطلق العلماء لفظ الجمع على القرآن ، فإنما يريدون منه الحفظ فى الصدور ، أو يريدون كتابته فى السطور . والمراد بالجمع هنا جمع مخصوص : وهو جمع متفرقه في صحف ، ثم جمع تلك الصحف فى مصحف واحد مرتب السور.

وقد توفر للقرآن الجمع بطريق الحفظ والكتابة معا منذ أول عهده إلى الآن . ويبقى كذلك ، تحقيقاً لوعد الله تعالى بحفظه حيث قال :

---

(١) سورة القيامة الآيات ١٦- ١٩ .

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[١]

أولاً : جمعه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم

١- جمع القرآن بمعنى حفظه فى الصدور :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على حفظ القرآن واستظهاره يترقب نزوله عليه بشوق ، فيحفظه ويفهمه ، مصداقاً وعد الله : (إنا علينا جمعه وقرآنه)[٢] فكان بذلك أول الحفاظ .

وكان صلى الله عليه وسلم يبلغه الصحابة ، وكانوا يتسابقون فى أخذه عنه ، واشتهر منهم الكثير . ومما ساعدهم على سرعة حفظه بدون مشقة : ظروف العرب أنفسهم الطبيعية وما فيها من صفاء وسعة ، تدعو إلى نشاط الذهن وصفاء القريحة ، وما حباهم الله به من قوة فى الذاكرة .

ومع حرص الصحابة على مدارسة القرآن واستظهاره فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشجعهم على ذلك ، ويختار لهم من يعلمهم القرآن ، عن عبادة بن الصامت قال :"كان الرجل إذا هاجر دفعه النبى صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن ، وكان يُسمع لمسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم ضجة بتلاوة القرآن ، حتى أمرهم رسول

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) سورة القيامة الآية ١٧ .

الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا " [١]

وفى الأحاديث الكثير الذى يدعو ويحث على حفظ القرآن وتعلمه : روى البخارى عن عثمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :"خيركم من تعلم القرآن وعلمه[٢] " وفى الحديث المتفق عليه عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر [٣] " .

وكانوا يقرأونه عن ظهر قلب ، ومنه حديث سهل في المرأة التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم ، ولما أعرض عنها ، قام رجل من أصحابه فتزوجها - وفى الحديث " فلما جاء قال ماذا معك من القرآن ؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدها ، قال أتقرأهن عن ظهر قلبك ؟ قال : نعم ، قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن [٤] "

(١) مناهل العرفان ١/٢٣٤ .

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب فضائل القرآن ١٠/٤٥١ -٤٥٢ من الفتح

(٣) اخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن ١٠/٤٤٢ -٤٤٣ من الفتح

(٤) اخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن . باب القراءة عن ظهر قلب ١٠/٤٥٤ -٤٥٥ من الفتح

وأما عن الأجر فى الآخرة : فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف "(١) .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا . فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها "(٢) .

تلك هى بعض الأحاديث التى تبين لنا السبب فى إقبالهم علي القرآن تلاوة وحفظا ، ومدي عنايتهم به ، وكانوا يتقربون به إلى الله ويتلونه فى صلواتهم وتهجدهم وتعلمهم وتعليمهم .

ويتلخص من هذا أن عوامل الحفظ عند الصحابة هى :

١- أن القرآن مصدر التشريع الأول ولم تكن لديهم وسيلة لتسجيله فكان مرجعهم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- القرآن سبب عزهم فى الدنيا إذ به يسوسون الناس ، وسبب سعادتهم فى الآخرة حيث يشفع لهم ويرفع مراتبهم .

٣- فى القرآن من الخصائص البلاغية والمزايا البيانية ما جاوز

---

(١) سنن الترمذى . كتاب فضائل القرآن ١٧٥/٥ .

(٢) سنن الترمذى ١٧٧/٥ .

مقدرة العرب ، وبلغ بهم حد الإعجاز ، فكان فى قراءتهم له متعة نفسية وروحية . إضافة إلى هذا أنهم كانوا قانعين بضروريات الحياة والإنسان إذا كان بعيداً عن الشواغل كان أقدر على الحفظ وكان ما يحفظه أقرب إلى الثبات .

القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب القراءات : القراء من أصحاب النبى صلي الله عليه وسلم فعدّ من المهاجرين : الخلفاء الأربعة، وطلحة ، وسعدا ، وابن مسعود، وحذيفة ، وسالما ، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب ، والعبادلة[١] ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة . ومن الأنصار : عبادة بن الصامت ، ومعاذ الذى يكنى أبا حليمة ، ومُجَمّع بن جارية ، وفضالة بن عبيد ، ومسلمة بن مَخْلَد . وصرح بأن بعضهم إنما أكمله بعد النبى صلي الله عليه وسلم .

وقال العينى إن القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثير عددهم وممن ذكرهم عبادة بن الصامت وأبو أيوب خالد بن زيد ، وقيس بن أبى صعصعة البدرى ، وقيس بن السكن ، وأم ورقة بنت نوفل وقيل بنت عبد الله بن الحارث - قال عنها ابن سعد : ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يزورها ويسميها الشهيدة ، وأمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن وقد جمعت القرآن [٢] .

---

(١) العبادلة الأربعة المشهورون بالإفتاء هم : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير .

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٣٣٥ .

ثم قال بعد أن عدد بعضهم " وقد ظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم لا يحصيهم أحد ولا يضبطهم عدد "[١].

هذا عدا روايات الصحيحين الدالة على أخذ الصحابة القرآن من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين تصدوا لتعليم القرآن واشتهروا بحفظه [٢] والروايات التاريخية التى تثبت أن الصحابة قد استشهد منهم فى بئر معونة سبعون رجلا كان يقال لهم القراء ، وفى اليمامة قريب من خمسمائة[٣] .

وهذه الروايات وغيرها وإن عينت بعض الذين عرضوا القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم أو قرأوه عليه أو تصدوا لتعليمه ونشره بين الأمة ، فليس يعنى هذا أن غيرهم لم يفعل مثل فعلهم ، بل إن عدة الجامعين من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلا الله تعالى .

شبهة

ويحاول الملاحدة أن يشككوا فى هذا التواتر ، فتلقفوا حديثين رواهما البخارى .

عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك - رضى الله عنه - من جمع القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلهم من

(١) عمدة القارىء ٢٧/٢٠ .

(٢) انظر فتح البارى ٤٢٢/١٠ - ٤٢٧ ، وشرح النووى على صحيح مسلم ١٩/١٦ .

(٣) فضائل القرآن لابن كثير ص ٩ .

الأنصار . أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد[١] .

وفى رواية أخرى عنه أيضاً عن أنس قال : مات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت وأبو زيد . قال : ونحن ورثناه[٢] .

تلقف الملاحدة هذين الحديثين ، وادعوا أن القرآن غير متواتر ولا يعتمد على ما بين دفتى المصحف على أنه القرآن .

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضى أبي بكر الباقلانى ثمانية أجوبة عن هذا الحديث فقال :

١- لا مفهوم لهذا الحديث فلا يلزم ألا يكون غيرهم جمعه .

٢- المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التى نزل بها إلا أولئك .

٣- لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك وهو قريب من الثانى .

٤- أن المراد بجمعه تلقيه من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب فضائل القرآن . ٤٢٦/١٠ من الفتح .

(٢) المرجع السابق . ٤٢٨/١٠ .

بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة .

٥- أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفى حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس الأمر فى نفس الأمر كذلك ، أو يكون السبب فى خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره .

٦- المراد بالجمع الكتابة فلا ينفى أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلب ، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب .

٧- المراد أن أحدا لم يفصح بأنه جمعه بمعني أكمل حفظه في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم إلا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك ، لأن أحدا منهم لم يكمله إلا عند وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حين أنزلت آخر آية منه فلعل هذه الآية الأخيرة من حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن .

٨- أن المراد بالجمع السمع والطاعة والعمل بموجبه .

وقد استبعد ابن حجر غالب هذه الإحتمالات ، وقال إن فيها تكلفا ظاهرا .

هذا . وإن الذين قالوا إن الحصر غير حقيقى محجوبون برواية الطبرى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة " افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ . ومن عدلت

شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت . ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر . ومن حملته الدبر عاصم بن ثابت . فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم " .. فذكرهم[1] فهى صريحة فى الحصر وتؤيد كون رواية أنس على الحقيقة ، وقد جاء التصريح بالحصر فى إحدى الروايتين وقد سبق ذكرهما .

والجواب الذى نرتضيه فى الرد على هؤلاء الملاحدة الذين تخيلوا أنهم وجدوا مطعناً فى تواتر القرآن :

أن كلام أنس على ظاهره ، وأنه لا يشترط فى تواتر القرآن أن يحفظه من أوله إلى آخره عدد التواتر ، بل يكفى أن يكون كل جزء منه محفوظاً عند العدد الذى يتحقق به التواتر .

قال ابن حجر " من أين لهم أن الواقع فى نفس الأمر كذلك ؟ - يقصد أن غيرهم جمعه - سلمناه ، لكن لا يلزم من كون كل واحد من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى "[2] .

هذا كلام معقول ، ويؤازره كلام النووي في التوفيق أيضا حيث قال :

---

(١) فتح البارى ٤٢٦/١٠ - والدبر جماعة النمل والزنابير .

(٢) فتح البارى ١٠ /٤٢٨ .

" روى غير مسلم حفظ جماعات من الصحابة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر المازرى خمسة عشر صحابياً ، وثبت فى الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن ، وكانت اليمامة قريبا من وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ ، فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها وبقي بالمدينة أو بمكة أو غيرهما ؟ ولم يذكر فى هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم فى الخير وحرصهم على ما دون ذلك من الطاعات ، وكيف نظن هذا بهم ونحن نري أهل عصرنا حفظه منهم فى كل بلدة آلاف، مع بعد رغبتهم فى الخير عن درجة الصحابة ؟

مع أنَّ الصحابة لم يكن لهم أحكام مقررة يعتمدونها فى سفرهم وحضرهم إلا القرآن وما سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فكيف نظن بهم إهماله ؟

فكل هذا وشبهه يدل علي أنه لا يصح أن يكون معنى الحديث أنه لم يكن فى نفس الأمر أحد يجمع القرآن إلا الأربعة المذكورين . الجواب الثانى أنه لو ثبت أنه لم يجمعه إلا الأربعة ، لم يقدح فى تواتره ، فإن أجزاءه حفظ كل جزء منها خلائق لا يحصون يحصل التواتر ببعضهم ، وليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه ، بل إذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك . ولم يخالف هذا مسلم ولا

ملحد . وبالله التوفيق[١]" .

والخلاصة : أن الصحابة رضى الله عنهم قد عنوا بحفظ القرآن وتبليغه وإقرائه ، والكثير منهم فعلوا ذلك فى حياته صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته حفظه من لا يحصي ، وتلقاه التابعون عن الصحابة ، وعنهم من بعدهم ، عصرا من بعد عصر ، إلى أن وصل إلينا كعهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك تحقيقاً لوعد الله بحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

٢- جمع القرآن بمعنى كتابته فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا للوحى من أجلاء الصحابة كعلى ، ومعاوية ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها ، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها ، حتى تظاهر الكتابة فى السطور ، الجمع فى الصدور .

روى الإمام أحمد [٢] والترمذى[٣] من حديث ابن عباس عن عثمان رضى الله عنه قال :" كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى فيها كذا وكذا ... "

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٩/٢٠-٢٠ .

(٢) فى مسنده ٥٧/١ .

(٣) فى سننه كتاب تفسير القرآن . باب : ومن سورة التوبة ٢٧٢/٥ قال ابو عيسي : هذا حديث حسن صحيح . لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسى عن ابن عباس .

كما كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم دون أن يأمرهم النبى صلي الله عليه وسلم ، فيخطونه فى العسب ، واللخاف ، والكرانيف ، والرقاع ، والأقتاب ، وقطع الأديم ، والأكتاف[١] ، عن يزيد بن ثابت قال : " كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع " [٢] .

وكان جبريل يعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن كل سنة في ليالى رمضان ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة "[٣] .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن محفوظ فى الصدور ، ومكتوب فى الصحف ، مفرق الآيات والسور ، أو مرتب الآيات فقط وكل سورة فى صحيفة على حدة ، ولم يجمع في مصحف عام .

---

(١) العسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض ، واللخاف : جمع لخفة ، وهى صفائح الحجارة ، والكرانيف : جمع كرنافة ، وهى أصول السعف الغلاظ ، والرقاع : جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو ورق . والأقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه ، والأكتاف : جمع كتف ، وهو العظم الذى للبعير أو الشاه ، كانوا إذا جف كتبوا عليه .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك بسند على شرط الشيخين ، نؤلف القرآن : أى نجمعه لترتيب آياته .

(٣) متفق عليه .

لماذا لم يجمع الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن فى صُحُف ولا مصاحف ؟

لم يلحق الرسول صلي الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا وقد دون القرآن كله ، ولكنه لم يجمعه بين دفتين لاعتبارات كثيرة :

أولاً : أن القرآن كان ينزل حسب الدواعى ، وقد يكون منه الناسخ لشىء نزل من قبل ، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير صلى الله عليه وسلم إلى موضع كتابتها كما سبق أن أشرنا . فلو كتب ما ينزل أولاً بأول فى صحيفة واحدة على التدريج ، ثم احتيج إلى تغيير المنسوخ للزم الحرج ، لعدم توافر أدوات الكتابة . إذ الذى ينسخ لابد أن يمحى ويحل محله ما نسخه ، لأنه لو لم يرفع من الصحيفة لأدى إلى الإلتباس والإختلاط وعدم معرفة الناسخ من المنسوخ ، وتغيير الكتابة من آن لأخر فيه عناء ومشقة .

قال الزركشى :" وإنما لم يكتب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يُفْضى إلى تغييره كل وقت ، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم ، فكتب أبو بكر والصحابة بعده ، ثم نسخ عثمان المصاحف التى بعث بها إلى الأمصار "(١) .

---

(١) البرهان ١/٢٦٢ .

وقال :"وإنما ترك جمعه في مصحف واحد ، لأن النسخ كان يرد على بعض ، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الإختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله في القلوب إلى إنقضاء زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين [(١)] .

ثانياً : أن القرآن لم ينزل مرة واحدة ، بل نزل منجماً في أكثر من عشرين سنة ، ولا يتأتى جمعه في صحيفة واحدة وهو لا يزال ينزل ، إذ لو نزلت آية والحالة كذلك لا تجد لهما موضعاً . فكان لابد من ترك الباب مفتوحاً لما يجد من الآيات .

ثالثاً : أيضاً فإن الحاجة إلى الجمع في مصحف أو مصاحف لم تكن إلا في عهد الصديق وعثمان رضي الله عنهما . حين خيف ذهاب القرآن بموت حفظته . وأما في حياته عليه الصلاة والسلام فلا خوف إذ الوحي لازال ينزل والرسول يعلمهم القرآن ويذكرهم به ، والصحابة يحفظونه ويتدارسونه . فالفتنة مأمونة . فلما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ألهم والله الخلفاء الراشدين جمعه وفاء لوعده بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية ، وكأن كما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير .

ثانيا : جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

لما تولى أبو بكر الصديق الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واجهته أحداث جسام في ارتداد جمهرة العرب ، حيث ادعى النبوة

---

(١) المرجع السابق ١/٢٣٥ .

مسيلمة الكذاب وتبعه قومه ، فجهز أبو بكر الجيوش وأوفدها لحروب المرتدين ، منها موقعة اليمامة سنة اثنتى عشرة للهجرة ، وقتل فى غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة ، قيل سبعمائة ، وقيل أكثر ، وفيهم نحو سبعين من القراء الذين مهروا فى القرآن وحفظه وتصدوا لتعليمه ، وعلى رأسهم سالم مولى أبى حذيفة أحد الأربعة الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنهم .

وفزع عمر لمقتل الصحابة ، وخشى أن يذهب القرآن ، ودخل على أبى بكر وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته فى صحف ، حتى يمكن صيانته من الضياع أو تمزق بعض أجزاءه .

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال :"أرسل إلىّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة (أى عقب استشهاد القراء السبعين فى واقعة اليمامة) فإذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبو بكر رضى الله عنه : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر[1] يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد . قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب

---

(١)استحر القتل : اشتد .

الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كانوا كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره - لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم - حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه "(١) .

وقد استمرت الصحف عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها لأنها كانت وصية عمر على أوقافه وتركته ، ثم أرسل إليها عثمان ، فأبت أن تدفعها إليه ، حتى عاهدها ليردنها إليها ، فبعثت بها إليها ، فبعثت بها إليه ، فنسخها عثمان فى مصاحف ، ثم ردها إليها .

ووكلت مهمة جمع القرآن لزيد وعمر رضى الله عنهما ، ورسم لهما أبو بكر خطة العمل ، خطة دقيقة محكمة ، تضمن لكتاب الله قدسيته وسلامته من التغيير والتبديل .

---

(١) أخرجه البخارى . كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ٣٨٥/١٠ - ٣٩٠ من الفتح .

قال لهما :

١- لا تعتمدا على حفظكما ولا على كتابتكما فى جمع القرآن وخذاه من المسلمين .

٢- ولا تقبلا شيئاً من مجرد الحفظ ، بل من المكتوب الموافق للمحفوظ .

٣- لا تقبلا من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان على أن ذلك المكتوب هو مما كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال لهما : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه فقام عمر فى الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأت به .

وقد راعى زيد بن ثابت نهاية التثبت ، فكان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة ، وقوله فى الحديث :" ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره " لا ينافى هذا ، ولا يعنى أنها ليست متواترة ، وإنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ، وكان زيد يحفظها ، وكان كثير من الصحابة يحفظونها كذلك ، لأن زيدا كان يعتمد على الحفظ والكتابة معا ، فكانت هذه الآية محفوظة عند كثير منهم ، ويشهدون بأنها كتبت ، ولكنها لم توجد مكتوبة إلا عند أبى خزيمة الأنصارى ، فقال : اكتبوها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادتة بشهادة رجلين ، فكتبت .

اخرج ابن أبي داود ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال: " قدم عمر ، فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدين "[١] وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعاً مع كون زيد كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الإحتياط .

قال ابن حجر :" وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن ، وكأن غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ "[٢] .

وقد ذكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه أربع صفات مقتضية تخصيص زيد للقيام بهذه المهمة هي :

١- كونه شابا : فيكون أنشط لما يطلب منه من العمل المضني المحتاج إلى الصبر والجلد .

---

(١)انظر الإتقان ١/١٦٦- ١٦٧ .

(٢) فتح الباري ١٠/٣٨٨ .

٢- كونه عاقلا : فيكون أوعى لعمله فلا يقع فى خلل أو نقص .

٣- كونه غير متهم : فتركن النفس إلى عمله ، ولا يلتبس بأدنى ريبة .

٤- كونه كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخبرة والممارسة أدعى لإخراج عمل متقن .

وهذه الصفات وإن كانت توجد فى غير زيد من الصحابة ولكنها غير مجتمعة ، لهذا كان زيد رضى الله عنه خير من يعهد إليه بهذا العمل العظيم الشأن الجليل الخطر .

خصائص جمع أبى بكر للقرآن :

١- اتصال السند الكتابى بالأخذ عما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم لذلك ظفر بإجماع الأمة عليه ، وتواتر ما فيه .

٢- اتباع أدق وجوه البحث والتحرى والتثبت العلمى فى جمعه .

٣- الإقتصار على ما لم تنسخ تلاوته .

ويرى بعض العلماء أن تسمية القرآن بالمصحف نشأت منذ ذلك الحين فى عهد أبى بكر بهذا الجمع ، وعن على كرم الله وجهه قال:"أعظم الناس فى المصاحف أجراً أبو بكر ، رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله " (١)

---

(١) انظر الإتقان ١/١٦٥ .

شبهتان وردهما

الأولى : يحمل بعض الروافض على أبى بكر ، ويعترضون على جمعه القرآن ويقولون : كيف جاز له أن يفعل شيئاً لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

والجواب : أولاً : أن ما فعله أبو بكر رضى الله عنه وفاء لوعد الله تعالى بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق وبمشورة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

ثانياً : أن القرآن كان مأذونا بكتابته فى قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تكتبوا عنى شيئاً غير القرآن "[١] فلا تعارض بين هذا الحديث، وما فعله أبو بكر الصديق ، فهى كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة .

ثالثاً : أن القرآن كله كتب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع فى موضع واحد ولا مرتب السور ، فكل ما فعله أبو بكر أنه جمع المتفرق وضم بعضه إلى بعض فى صحف ، فكان هذا العمل مفخرة لأبى بكر ، لا موطنا للنقد والطعن ، كما ينوه بعظيم منقبته لثبوت قوله صلى الله عليه وسلم :"من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شىء "[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد ١٢٩/١٨ شرح النووى .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب العلم ٢٢٦/١٦ شرح النووى .

فما جمع القرآن أحد إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة .

الشبهة الثانية : فقد شق على بعض الروافض أن يسند إلى أبى بكر شرف جمع القرآن ، بحجة أن عليا سبق أبو بكر في جمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستدلون على دعواهم بما أخرجه ابن أشته عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال : لما كان بدء خلافة أبى بكر قعد على بن أبى طالب فى بيته ، فقيل لأبى بكر : كره بيعتك ، فأرسل إليه ، فقال : أكرهت بيعتى ؟ فقال : رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسى ألا ألبس ردائى إلا لصلاة حتى أجمعه . قال له أبو بكر : فإنك نعم ما رأيت . أ هـ .

والجواب : أن هذه الشبهة مردودة كسابقتها ، وذلك لأن الأثر الذى اعتمدوا عليه ضعيف . قال ابن حجر :" هذا الأثر ضعيف لإنقطاعه ، وبتقدير صحته ، فمراده بجمعه حفظه فى صدره "(١) .

أيضاً فإن هذه الرواية - على فرض صحتها . لا تنقص فضل أبى بكر ومنقبته وإن وجدت مصاحف فردية عند بعض الصحابة كمصحف على ، ومصحف أبى بكر ، ومصحف ابن مسعود ، فإنها لم تكن على هذا النحو ، ولم تنل حظها من التحرى والدقة ، والجمع والترتيب ، والإقتصار على ما لم تنسخ تلاوته ، والإجماع عليها ، بمثل ما نال

---

(١) فتح البارى ١٠/٣٨٦ .

مصحف أبى بكر .

ويكفينا فى الرد عليهم شهادة الإمام على كرم الله وجهه فى حديث أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف بسند حسن قال فيه :"أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبو بكر ، رحمة الله علي أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله :"[١] .

ثالثاً : جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه

اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وتفرق القراء في الأمصار ، وأخذ أهل كل مصر عمن وفد إليهم قراءته ، ووجوه القراءة التى يؤدون بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التى نزل عليها . فأهل الشام يقرءون بقراءة أبى بن كعب ، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود ، وغيرهم يقرأ بقراءة أبى موسى الأشعرى . فكان بينهم اختلاف فى حروف الأداء ووجوه القراءة .

وفى سنة خمس وعشرين من الهجرة ، وبعد أن ولى عثمان الخلافة بعامين أحس خطرا على القرآن ، إذ بلغه أن المعلم بالمدينة يعلم قراءة الرجل ، والمعلم الآخر يعلم قراءة رجل آخر ، وجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع الخلاف إلى المعلمين ، حتي كفر بعضهم بعضا ، فبلغ ذلك عثمان فخطب ، فقال :" أنتم عندى تختلفون ، فمن نأى عنى

---

(١)فتح البارى ١٠/٣٨٦ .

من الأمصار أشد إختلافاً :[١] .

وصدق عثمان ، فقد كانت الامصار النائية أشد اختلافاً ونزاعاً من المدينة والحجاز . ففى هذه الأثناء تجمع جيش من العراق ، وفيه حذيفة بن اليمان ، وجيش من الشام ، وتوجهوا لغزو أرمينية وأذربيجان فرأى اختلافا كثيراً فى وجوه القراءة .

ويحسن بنا أن نذكر الرواية التى تصور مدي تضارب المسلمين واختلافهم فى القراءة إلى حد أن كل واحد كان ينكر ما يقرأ الأخر ، الأمر الذى أفزع الصحابة وجعلهم يسرعون إلى نسخ إمام يرجع إليه الجميع ، مخافة الفتنة .

روى البخارى عن أنس بن مالك " أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة إختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان . فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصى وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة

---

(١) مناهل العرفان ٢٤٩/١ .

إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة . وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال ابن شهاب : وأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه". فألحقناها فى سورتها فى المصحف (١) .

فالقرآن نزل أولاً بلغة قريش ثم لما كثر العرب الذين دخلوا الإسلام دعا الرسول صلى الله عليه وسلم ربه أن يسهل القراءة للجميع وأن يرفع المشقة عنهم - روى مسلم " عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بنى غفار ، قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف ، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك .. وفيه إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا "(٢)

ثم لما زالت الصعوبة واستقر الأمر وحدثت الخلافات بين القراء جرد

---

(١)صحيح البخارى . كتاب فضائل القرآن . باب جمع القرآن ١٠/ ٣٩٠ - ٣٩٦ من الفتح .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ١٠٣/١٦ - ١٠٤ شرح النووى

عثمان لغة قريش التى عليها نزل القرآن أولا من تلك القراءات .

فالقول الفصل فى جمع عثمان رضي الله عنه : هو حمل الناس على لغة واحدة هى لغة قريش التى نزل عليها القرآن أولا ، وهذا الإقتصار يصدق كما هو ظاهر على مواطن الإختلاف فقط .

دستور عثمان فى كتابة المصاحف :

حدد عثمان مع اللجنة وباستشارة الصحابة دستور العمل ويتلخص فيما يأتى :

١- لا يكتب شىء إلا بعد التحقق من أنه قرآن .

٢- لا يكتب شىء إلا بعد العلم بأنه استقر فى العرضة الأخيرة .

٣- لا يكتب شىء إلا بعد التأكد من أنه لم ينسخ .

٤- لا يكتب شىء إلا بعد عرضه على جميع الصحابة .

٥- إذا اختلفوا فى شىء من القرآن كتبوه بلغة قريش ، وقد اختلفت اللجنة فى التابوت والتابوه فقال القرشيون : التابوت ، وقال زيد : التابوه ، فرفع الخلاف إلى عثمان ، فقال :اكتبوه " التابوت " فإنه نزل بلسان قريش[1].

---

(١) انظر فتح البارى ٣٩٤/١٠ .

٦- يحافظ على القراءات المتواترة ، ولا تكتب قراءة غير متواترة .

٧- اللفظ الذى لا تختلف فيه وجوه القراءات يرسم بصورة واحدة .

٨- اللفظ الذى تختلف فيه وجوه القراءات ، ويمكن رسمه فى الخط محتملا لها يكتب برسم واحد ، مثل قوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فإنها تصلح أن تقرأ بالقراءة الأخرى "فتثبتوا" لأن الكتابة كانت خالية من النقط والشكل ، ومثلها (وانظر إلى العظام كيف ننشزها) فإنها تصلح أن تقرأ بالقراءة الأخرى " ننشرها" .

٩- اللفظ الذى تختلف فيه وجوه القراءات ولا يمكن رسمه فى الخط محتملا لها يكتب فى نسخة برسم يوافق بعض الوجوه ، وفى نسخة أخرى برسم يوافق الوجه الآخر ، كقوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب) فإنها تكتب فى نسخة أخرى " وأوصى"، بالهمز لأنها قراءتان.

ومثل قوله تعالى فى سورة التوبة (لهم جنات تجرى تحتها الأنهار) فإنها تكتب فى نسخة أخرى " تجرى من تحتها الأنهار " بزيادة "من" لأنهما قراءتان .

وتحاشوا أن يكتبوا الرسمين فى مصحف واحد ، أحدهما فى الأصل والآخر فى الحاشية لئلا يتوهم أن الثانى تصحيح للأول ، أو أن الأول أصل والثانى فرع محتمل فتضعف قراءة أحد اللفظين عن الآخر بدون مرجح .

وسارت اللجنة فى عملها بأمانة وهمة ، ونسخت خمسة مصاحف أو سبعة ثم عرضت المصاحف على مهرة القرآن ، ولما أطمأن عثمان إليها وزعها على الأمصار .

وقد اختلف العلماء فى عدد المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق .

أ- فقيل كان عددها سبعة . أرسلت إلى مكة ، والشام ، والبصرة ، والكوفة ، واليمن ، والبحرين ، والمدينة .

ب- وقيل كان عددها أربعة ، العراقى ، والشامى ، والمصرى ، والمصحف الإمام .

جـ - وقيل كان عددها خمسة ، وذهب السيوطى إلى أن هذا هو المشهور .

فقد أخرج ابن أبى داود من طريق حمزة الزيات ، قال : أرسل عثمان أربعة مصاحف قال ابن أبى داود : وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول : كتب سبعة مصاحف ، فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن ، وإلى البحرين ، وإلى البصرة وإلى الكوفة ، وحبس بالمدينة واحداً (١) .

---

(١) انظر الإتقان ١/ ١٧٢ .

وأيا ما كان الأمر فإن عثمان قد أرسل بنسخة من المصحف إلى كل قطر فتحه المسلمون آنذاك ... على ذلك العقل والنقل : أما العقل فإن الغرض من إرسال المص... إلى الأمصار هو القضاء على الفتنة التى كانت قائمة حينئذ بس... ختلاف المسلمين فى القراءة ، والمنع من حدوث مثلها مرة أخرى فى أقطار المسلمين ، وهذا الفرض لا يتحقق إلا بإرسال المصاحف إلى جميع الأمصار ، وأما النقل فهو حديث أنس السابق الذى فيه " وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا " وكلمة أفق تدل بعمومها على أنه أرسل المصاحف إلى جميع الأمصار لا إلى بعضها دون بعض .

مقارنة بين جمع القرآن في عهوده الثلاثة

١- لم يجمع القرآن فى موضع واحد إلا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، جمعه أبو بكر ثم عثمان ، على مرأى من الصحابة ورضاهم وهو فى كل عهد من هذه العهود الثلاثة كان يكتب مجرداً من النقط والشكل ونحوهما .

٢- كان القرآن يجمع مرتب الآيات فى سورها ، في عهد أبى بكر وعثمان وأما في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فترتيب الآيات فيه وإن كان معلوماً لديهم ، بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك ، إلا أنه لم يكتب في موضوع واحد فى ذلك العهد لما سبق .

٣- تجريد القرآن من المنسوخ مشترك بين العهود الثلاثة ، أما فى عهد أبى بكر وعهد عثمان فلأن زمن النسخ قد انقضى وعرف الناسخ والمنسوخ . وأما فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلأنه لم يترك صحيفة فيها منسوخ ، وإلا لالتبس الأمر على الناس ولما استطاعوا تمييز الناسخ والمنسوخ .

٤- لم ترتب السور مكتوبة إلا فى عهد عثمان رضى الله عنه - وإن كان ترتيبها معلوماً عندهم بتعليمه صلي الله عليه وسلم من قبل ذلك ، وكانوا يقرأونها ويعلّمونها مرتبة .

٥- كان الباعث على جمع القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم مع أنه محفوظ للكل ، لكمال العناية به واتخاذ كل الوسائل الممكنة

لحفظه وصيانته من أن يضيع منه شيء أو يغير لفظ بلفظ ، بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم ، إذ أن هذا كله مأمون في حياته عليه الصلاة والسلام .

وكان جمع أبي بكر خشية ضياع شيء من القرآن بموت حفظته في ميادين الجهاد ، ولتكون الصحف مرجعاً يرجعون إليها عند الحاجة ، ولتجديد ما عساه يكون قد تآكل من حروف الصحف النبوية ولا يخفى أن ذلك من عظيم الإهتمام بشأن القرآن وأوجب الواجبات للمحافظة عليه.

وأما جمع عثمان فقد كان لرفع الخلاف الحادث في القراءات ، وعدم إثبات أخبار الآحاد ومنسوخ اللفظ ، وإثبات النص القرآني حسب العرضة الأخيرة بحرف قريش وحده ، فهو بمثابة نشر صحيفة رسمية يلزم بها جميع المسلمين - ويرجعون إليها . وبذلك جمع للنص القرآني قدسيته وللمسلمين وحدتهم . وهذا من فضائله وعلمه ، وقد كان هذا واجباً عليه ولهذا لم ينكر عليه أحد ذلك ، بل رضوه وعدوه من مناقبه ، حتى قال علي كرم الله وجهه :" لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل "(١) .

---

(١) البرهان ١/ ٢٤٠ .

بعض الشبه التى أثيرت حول جمع القرآن والرد عليها

هناك شبة يثيرها أهل الأهواء للتشكيك فى دقة جمعه ، وتوهين الثقة بالقرآن ، وإليك بعضها مشفوعاً بتفنيدها .

الشبهة الأولى

قالوا : إن الآثار قد دلت على أن القرآن قد سقط منه شيء لم يكتب فى المصاحف التى بأيدينا اليوم .

أ - عن عائشة قالت :" سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى المسجد فقال : يرحمه الله ، لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا " وفي رواية "كنت أنسيتها"(١) .

ويجاب عن هذا بأن تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم بآية أو آيات قد أنسيها أو أسقطها نسياناً لا يشكك فى جميع القرآن ، فإن الرواية التى جاء فيها التعبير بالإسقاط نسيانها ، كما يدل عليه لفظ "أذكرنى" والنسيان جائز على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما لا يخل بالتبليغ وكانت هذه الآيات قد حفظها رسول الله ، واستكتبها كتاب الوحى ، وحفظها الصحابة فى صدورهم ، وبلغ حفظها وكتابتها مبلغ التواتر ، فنسيان الرسول صلى الله عليه وسلم لها بعد ذلك لا يؤثر فى دقة جمع

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب : الصلاة . باب فضائل القرآن والأمر بتعهده ٦/ ٧٥ شرح النووى .

القرآن ، وهذا هو غاية ما يدل عليه الحديث . ولذا كانت قراءة هذا الرجل - وهو أحد الحفظة الذين يبلغ عددهم حد التواتر - مذكرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم " لقد أذكرنى كذا وكذا آية " .

فالإنسان عندما يتعلم شيئاً يكون هذا الشيء فى بؤرة الشعور وبمضى الوقت ينتقل من الشعور إلى اللاشعور أى " الهامش" فإذا ذكره أحد به مرة ثانية ينتقل إلى بؤرة الشعور وهذا ما حدث بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند سماعه للآية من الرجل .

ب- وقال تعالى فى سورة الأعلى (سنقرئك فلا تنسى ، إلا ما شاء الله)[1] والاستثناء يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنسى بعض الآيات .

ويجاب عن ذلك : بأن الاستثناء فى هذه الآية صورى لا حقيقى . والحكمة منه : إعلان من الله تعالى لعباده أن عدم نسيانه صلى الله عليه وسلم الذى وعده الله إياه فى قوله :"فلا تنسىَ " إنما هو محض فضل من الله وإحسان ، ولو شاء سبحانه أن ينسيه لأنساه .

والدليل على أن هذا الإستثناء صورى لا حقيقى أمران :

(أحدهما) ما جاء فى سبب النزول وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الأعلى الآيتان ٦ ، ٧ .

كان يتعب نفسه بكثرة قراءة القرآن حتى وقت نزول الوحى ، مخافة أن ينساه ويفلت منه ، فأقتضت رحمة الله بحبيبه أن يطمئنه من هذه الناحية وأن يريحه من هذا العناء ، فنزلت هذه الآية كما نزلت آية (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) (١) وآية (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب زدنى علما) (٢) .

(ثانيهما) أن قوله " إلا ما شاء الله " يعلق وقوع النسيان على مشيئة الله إياه . والمشيئة لم تقع بدليل قوله تعالى : (إنا علينا جمعه وقرآنه) . وإذاً فالنسيان لم يقع .

فهذه الآية وعد من الله أكيد ، بأن الرسول يقرئه الله فلا ينسى ، وعدا منه على وجه التأييد ، من غير إستثناء حقيقى لوقت من الأوقات.

وفى ذلك الإستثناء الصورى فائدتان : إحداهما ترجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم حيث يشعر دائماً أنه مغمور بنعمة الله وعنايته ، مادام متذكرا للقرآن لا ينساه ، والثانية تعود على أمته حيث يعلمون أن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما خصه الله به من العطايا والخصائص لم يخرج عن دائرة العبودية ، فلا يفتنون فيه كما فتن النصارى فى المسيح بن مريم .

---

(١)سورة القيامة الآية ١٦ .

(٢) سورة طه الآية ١١٤ .

قال المرحوم الشيخ محمد عبده فى تفسير هذه الآية :" ... وما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم نسى شيئاً ، فذلك إن صح ، فهو فى غير ما أنزل الله من الكتاب والأحكام التى أمر بتبليغها ، وكل ما يقال غير ذلك ، فهو من مدخلات الملحدين ، التى جازت على عقول المغفلين ، فلوّثوا بها ما طهره الله ، فلا يليق بمن يعرف قدر صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، ويؤمن بكتاب الله أن يتعلق بشيء من ذلك " أهـ

الشبهة الثانية

يزعم بعض غلاة الشيعة أن عثمان ومن قبله أبو بكر وعمر حرفوا القرآن ، أسقطوا بعض آياته وسوره ، فحرفوا لفظ (أمة هى أربى من أمة)[١] ، الأصل " أئمة هى أزكى من أئمتكم " ، وأسقطوا من سورة " الأحزاب " آيات فضائل أهل البيت وقد كانت فى طولها مثل سورة " الأنعام " وأسقطوا سورة الولاية بتمامها من القرآن .

ويجاب عن ذلك بما يأتى :

أولاً : أنها اتهامات باطلة لا سند لها ، ودعاوى لابينة عليها .

ثانياً : أن بعض علماء الشيعة تبرأ من هذا السخف ، فقد تفطن

---

(١)سورة النحل الآية ٩٢ .

الطبرسى - وهو من علمائهم - إلى وهن دعواهم حكاها على أنها قول لبعض أصحابه فقال :" فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه . وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن فى القرآن تغييراً ونقصاناً ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه . وهو الذى نصره المرتضى - قدس الله روحه " .

وقال الطبرسى أيضاً :" إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة . فإن العناية اشتدت ، والدواعى توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه شىء فيما ذكرناه "[١] .

ثالثاً : أن التواتر قد قام والإجماع قد انعقد ، على أن الموجود بين دفتى المصحف كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تغيير ولا تبديل .

رابعاً : أن الإمام على كرم الله وجهه - وهو الذى يدعون التشيع له صح النقل عنه بتحبيذ جمع القرآن فى عهد أبى بكر وفى عهد عثمان . فقد قال فى جمع أبى بكر : " أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبى بكر ، هو أول من جمع كتاب الله " وقال فى جمع عثمان :" يا معشر الناس ، اتقوا الله ، وإياكم والغلو فى عثمان

---

(١) مجمع البيان ١٨/١ ، ١٩ .

وقولكم ، حراق مصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" وقال " لو كنت الوالى وقت عثمان لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان "

فهذا الذى أثر عن على نفسه يقطع ألسنة أولئك المفترين الذين يزعمون نصرته ، وهو منهم براء (١) .

الشبهة الثالثة

يقولون : إن القرآن كما حصل فيه نقص عند الجمع ، حصلت فيه زيادة . والدليل على ذلك : إنكار ابن مسعود أن المعوذتين من القرآن . وأن فى القرآن ما هو من كلام أبى بكر وكلام عمر .

ويجاب عن هذه الشبة بما يأتى :

أولاً : لم يصح عن ابن مسعود انكاره للمعوذتين . قال النووى فى المهذب : أجمع المسلمون على أن المعوذتين من القرآن وأن من جحد شيئاً منها كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح أ.هـ .

ثانياً : يحتمل أن إنكار ابن مسعود قرآنية المعوذتين والفاتحة على فرض صحته كان قبل علمه بذلك ، وأنه لم يسمع المعوذتين من النبى صلى الله عليه وسلم ولم تتوترا عنده فتوقف فى أمرهما ، فلما تبين له

---

(١) انظر مناهل العرفان ١/٢٧٣ - ٢٧٥ .

قرآنيتهما بعد وتم التواتر وانعقد الإجماع على قرآنيتهما كان فى مقدمة من آمن بأنهما من القرآن .

ثالثاً : وعلي فرض صحة إنكار ابن مسعود للمعوذتين بل للقرآن كله فهذا لا يضر التواتر ، ولا ينقضه ، ولا يرفع العلم اليقيني ، إذ لم يقل أحد إن من شرط التواتر والعلم اليقينى المبنى عليه ألا يخالف فيه مخالف .

رابعاً : أن ما زعموه من أن آية (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)[1] من كلام أبى بكر فهو زعم باطل ، لا يستند إلى دليل ولا شبه دليل ، لأنه جاء فى الروايات الصحيحة أنها نزلت فى واقعة أحد ، لعتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على ما صدر منهم .

وذلك لما أصيب المسلمون بما أصيبوا به ، وفشافيهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، قال بعض المسلمين : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى فيأخذ لنا أمانا من أبى سفيان ؟ وبعضهم جلسوا وألقوا ما بأيديهم ، وقال أناس من أهل النفاق : إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول ، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك : إن كان قتل فإن رب محمد لم يقتل ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه . ثم قال:

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

اللهم إنى اعتذر إليك مما قال هؤلاء (يعنى المسلمين) وأبرأ إليك مما قال هؤلاء (يعنى المنافقين) ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه .

ولام الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة على فرارهم من حوله ، فقالوا : يا رسول الله . فديناك بآبائنا وأبنائنا . أتانا الخبز بأنك قتلت ، فرعبت قلوبنا ، فولينا مدبرين . فأنزل الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم).. الآية [١] .

فهذه الآية ليست من كلام أبى بكر ، بل كان عشرات من الصحابة يحفظونها وكل ما فى الأمر أن أبا بكر تلاها على المنبر يوم توفى صلى الله عليه وسلم والناس فى فزع ودهشة .

وكان من آثار الصدمة أن عمر رضى الله عنه غفل عن هذه الآية يوم تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يومئذ وقال :" إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات . ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسي بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فَلَيُقَطِّعنَّ أيدىَ رجالٍ وأرجهلم ، زعموا أن رسول الله صلى الله

---

(١) انظر روح المعانى ؟/ ٧٣ - و تفسير الطبرى ٣/ ٧٣ .

عليه وسلم مات .

هنالك نهض أبو بكر لينقذ الموقف فقال :" على رسلك يا عمر ، أنصت ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) إلى آخرها . قال الراوى : فوالله ، لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ فأخذها الناس من أبى بكر . وقال عمر : ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعَقِرْت حتى وقعت على الأرض ، ما تحملنى رجلاى وعرفتِ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

قال الشيخ الزرقانى : وهذه الآية - كما ترى - لا يشم منها رائحة أنها من كلام أبى بكر بل هى تحمل فى طيها أدلة كونها من كلام الله ، وأن الصحابة يعلمون أنها من كلام الله ، نزلت قبل أن ينزل بهم هذا الخطب الفادح ببضع سنين ، ولكن ما الحيلة فيمن أعماهم الهوى والتعصب ؟[١] .

خامساً : أن ما دعوه من أن آية (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي) من كلام عمر مردود أيضاً ، لأن سبب نزول هذه الآية هو قول عمر للنبى صلى الله عليه وسلم " لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى" فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)[٢] وهناك فرق بين تمنى عمر الذى

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٢٧٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٥ .

هو سبب النزول وبين صيغة الأمر الذى جاء فى الآية فقد جاء تمنى عمر بصيغة الماضى وقرن بلفظ "لو" وتحقيق القرآن أمنية أو أمنيات لعمر ، لا يدل على أن ما نزل تحقيقاً لهذه التمنيات يعتبر من كلام عمر . بل البعد بينهما شاسع ، والبون بعيد [١] .

وفى الختام نقول :

إن القرآن الذى نقرأه اليوم ، هو القرآن المعجز الذى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بلا زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تحريف ، وأن طعن الملحدين فيه ساقط لا يرتكز على أساس سليم - وليس يعتبر فى صحة نقل القرآن ألا يخالف فيه مخالف ، وإنما المعتبر فى ذلك مجيئه عن قوم بهم يثبت التواتر وتقوم الحجة .

وصدقَ الله العظيم (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٢] . وقوله تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه)[٣] و(إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[٤] .

والحمد لله رب العالمين إنه نعم المولى ونعم النصير .

دكتورة عفاف على النجار

أستاذ بقسم التفسير وعلومه

كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر - فرع البنات

---

(١) انظر مناهل العرفان ١/ ٢٧٢ .

(٢) سورة الحجر الآية ٩ .

(٣) سورة القيامة الآية ١٧ .

(٤) سورة فصلت الآيتان ٤١ ،٤٢ .

فهرس المراجع

١- الإتقان فى علوم : للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٢- أسباب النزول : للواحدى . عالم الكتب بيروت توزيع مكتبة المتنبى القاهرة .

٣- البرهان فى علوم القرآن : للزركشى . دار الفكر ، الطبعة الثالثة

٤- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى : للسيوطى . دار الكتب الحديثة . الطبعة ١٢٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

٥- جامع البيان فى تفسير القرآن : لأبى جعفر بن جرير الطبرى دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ هـ .

٦- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى . دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

٧- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى : للألوسى دار احياء التراث العربى بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ .

٨- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : للإمام النووى . دار الحديث .

٩- سنن أبى داود : دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٠- سنن الترمذى ، القاهرة . المكتبة الإسلامية ١٩٦٢ م .

١١- شرح النووى على صحيح مسلم . دار احياء التراث العربى بيروت .

١٢- صحيح البخارى . دار احياء التراث العربى ١٩٥٨ م .

١٣- صحيح مسلم . دار احياء التراث العربى ١٩٥٦ م .

١٤- الطبقات الكبرى . لمحمد بن سعد . دار التحرير للطبع والنشر.

١٥- عمدة القارىء . شرح صحيح البخارى للعينى دار الطباعة المنيرية .

١٦- فتح البارى لإبن حجر ، مطبعة مصطفى الحلبى .

١٧- فضائل إلقرآن لابن كثير . مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م .

١٨- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشرى . دار المعرفة بيروت .

١٩- لباب النقول فى أسباب النزول : للسيوطى . دار احياء العلوم بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .

٢٠- لسان العرب : لابن منظور . دار صادر بيروت .

٢١- مباحث فى علوم القرآن . لمناع القطان . مكتبة المعارف الرياض الطبعة الثامنة ١٤٠١ - ١٩٨١ م .

٢٢- مجمع البيان لعلوم القرآن ، لأبى الفضل الطبرسى ط ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م .

٢٣- مختصر تفسير ابن كثير . اختصار وتحقيق محمد على الصابونى دار القرآن الكريم بيروت . الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ.

٢٤- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابورى وفى ذيله تلخيص المستدرك للذهبى . مطابع النصر الحديثة بالرياض .

٢٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل . القاهرة ١٣١٣ هـ .

٢٦- مناهل العرفان فى علوم القرآن : للزرقانى . دار احياء الكتب العربية .

٢٧- النبأ العظيم . للدكتور محمد عبد الله دراز دار القلم الطبعة الثانية ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م .

الفهـــرس

الموضـــوع | الصفحـــة

(المبحث الاول)

(المبحث الثانى)

الموضوع	الصفحة

(المبحث الثالث)

(المبحث الرابع)

الموضـــوع	الصفحـــة

(المبحث الخامس)

(المبحث السادس)

الموضـــوع	الصفحـــة

رقم الايداع بدار الكتب القومية

١٩٩٣ / ٨٥٨٠

I.S.B.N.

997 - 00 - 5799 - 1

تاريخ رقم الايداع ٢١/ ١٩٩٣/٩